الفصل الأول
آسيا الوسطى

أولا: (الإطار الجغرافى والتاريخى):

آسيا الوسطى شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهمالايا، ومن الجنوب الغربى هضبة البامير ومن الغرب جبال تيان شان ومن الشمال جبال الآلتاى ويابلونى، وستانوفوى، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور.

وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالى ستة ملايين كم٢ هى فى مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب الجعدة والمنخفضات ويسكن آسيا عناصر صينية وتركية ومغولية وآسيا الوسى هى تلك البلاد التى أطلق عليها الجغرافيون العرب بلاد ما وراء النهر وهى المنطقة المتحضرة الواقعة فى حوض نهر جيحون - أمودريا وسيحون سيردريا حيث كان نهر (جيحون) القديم يد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أى إيران وتوارن، فما كان فى شماله أى ورائه من أقاليم قد سماها العرب ما وراء النهر وهو نهر جيحون أو نهر أمودريا Anu - Darya وكذلك سموها بلاد الهيطل كما أطلق عليها اسم بلا التركستان أى موطن الترك.

والنصف الشمالى من بلاد ما وراء النهر هو ما يطلق عليه اسم آسيا الوسطى أو بلاد التركستان فهو فى الأصل على هيئة سهل يمتد من سلسلة التلال الشرقية التى تعتبر امتداد لجبال تيان شان التى تكاد تصل إلى الغرب ن سمرقند حتى تأخذ فى الانخفاض الشديد لتبلغ بعد ذلك شواطى بحر الخرز (قزوين).

كذلك فإن سلسة الجبال الآسيوية الرئيسية العظمى التى تمتد من الصين شرقا إلى شاطئ البحر المتوسط غربا، والتى تبلغ غايتها من الارتفاع فى بمنطقة التبت، وجبال الهمالايا التى تعرف بسقف الدنيا على وجه التحديد، وهى فى تشعبها وتفريعاتها كانت تسعد بحق قديمات حاجزا بين الشعوب المتحضرة، والبدوية قبل وصول الإسلام إلى إقليم الترك، ولكن الشعوب التى كانت تسكن إلى جنوب من هذه الجبال كان لها دور هام بل أكثر أهمية فى حركة التطور الحضارى والثقافى.

وقد أطلق الجغرافيون العرب والمسلمون القدامى على جمهوريات أسيا الوسطى الإسلامية فى العصور الوسطى بلاد (خراسان وما وراء النهر والتركستان)، ومن هنا كان لابد من تحديد موقعها على خريطة العالم، والإشارة إلى الأسماء القديمة التى تعارفت عليها المصادر القديمة حول مدلول هذه الأسماء الثلاث المشار إليها ونقول: إن الطلاق اسم خراسان فى القرون الهجرية الأولى بل طوال العصور الوسطى جميعها هو ذلك الإقليم الذى يحده جغرافى فى الشرق إقليم السند الهندى، وطخارستان الخراسانية، ومن الغرب إقليم جرجان، ومنم الشمال بلاد الصغد وخوارزم أيضا، ومن الناحية الجنوبية إقليم سحسبتان، وقد تقسمت هذه البلاد فى العصور الحديثة إلى ثلاث أقسام هى جمهورية إيران الإسلامية، وأفغانستان الحالية، وجمهورية تركمانستان التى تشكل واحدة من جمهوريات أسيا الوسطى الست المستقبلة حديثا عن الاتحاد السوفيتى السابق، أما إقليم خراسان فى العصر الحديث فيطلق على إحدى محافظات الجمهورية الإيرانية الحالية ومساحتها ١/ من مساحة إيران حاليا، ومن هنا فإن خراسان لا تزال موزعة على هذه الجمهوريات الثلاث السابقة الإشارة إليها.

أهم أقاليم ما وراء النهر:

تنقسم بلاد ما وراء النهر إلى عدة أقاليم كان لها أثر كبير فى تاريخ تلك البلاد سواء كان ذلك فى الجوانب السياسية أو الاقتصادية أو العلمية، واهم هذه الأقاليم هى:

١ - إقليم الصغد. ٢ - إقليم خوارزم.

٣ - إقليم اشروسنة. ٤ - إقليم فرغانة.

٥ - إقليم الشاش. ٦ - إقليم الختل.

١ - **أقليم الصغد**: تشكل هذا الإقليم بواسطة نهر جيحون وروافده، ولعل ما يضفى عليه أهمية بالغة الأثر أنه يضم مدينتين كان لهما باع كبير فى النواحى وسمرقند عاصمته السياسية حتى عهد السامانيين فمدينة بخار ى عاصمته الدينية، النهر قاطبة، فحينما يرتفع الإنسان إلى قلعتها لا يشاهد سوى خضرة متصلة ببعضها وكأن السماء مهيأة على بساط أخضر، وكانت بخارى تتمتع بثراء طائل

وتقوم بها الصناعات والتجارات، ويتجلى ذلك بوضوح فى مغانم المسلمين عند الفتح الإسلامى لها ومن أشهر أسواقها (بارزار ماخ روز) أس ماخ، كانت هذه السوق تقام فى العام ولمدة يوم واحد فغى كل مرة، وأهم سلعها الأصنام وبعد ذلك أصبحت أراضى السوق مكانا لعبادة النار حتى جاء الإسلام، وبنى المسلمون فى هذا المكان مسجدا عرف باسم مسجد ماخ.

أما سمرقند فهى تعرف بمدينة المسرات، قصبه اقليم الصعد السياسية تقع أعلى نهر جيحون وهى من أجل البلاد وأعظمها قدرا فيها أسواق كبار وقد لعبت دورا باررا فى تاريخ أسيا السياسى والاقتصادى ومن مدنه الشهيرة أيضا بيكند ونسف والكشانية.

٢ - إقليم خوارزم: يقع هذا الإقليم فى أدنى نهر جيحون وأبرز مدنه شجر كركانج التى سماها العرب الجرجانية وكاث ودرغان وخيوه هذا رسب أى الألف فرس وزمخشر موطن الإمام الزمخشرى.

٣ - اقليم أشروسنه: يحد هذا الإقليم شمالا الشاش وطشقند، وجنوبا كش، والصغانيات، وشرقا فرعانه سمرقند، وتغلب عليه الصفة الصحراوية، أما أهم مدنه فهى بونجكث، وتجاوره جبال ألبتم، وهى التى يكثر بها الذهب والفضة والنشادر، ويلقب ملوك اشروسنة بلقب الافشين ومن أشهر مدنه ذامين، مرسمندة، وساباط وديزك أو جيزك التى اعتبرت رباط للمسلمين.

٤ - إقليم فرعانه: يقع هذا الإقليم على الجانب الأيسر لنهر سيحون، وتحده جنوبا هضبة البامير، وشمالا جبال تيان شان، وشرقا سهول مكشوفة، وغربا ممر ضيق يتصل بباب الإقليم، وتعد مدينة (أخسيكنت) قصبة الإقليم واهم مدنه، وتقع هذه المدينة على شط نهر الشاش يحيطها سور خارجه ربص يحيط به سور أخر، وأبرز ما ينتجه إقليم فرعانه الثياب البيض والآت السلاح والسيوف والنحاس، واهم خاماته الذهب والفضة والزئبق والفيروز والحديد ومن أهم مدنه انديكان وقباونصر آباد وكاسان أوقاشان وباب الحديد.

٥ - إقليم الشاش: يقع هذا الإقليم خلف نهر سيحون على بعد مرحلتين من ثغر اسبيجاب وقد تميز إنتاجه للسروج، والجبال، والمصليات والقطن، فضلا

عن الذهب والفضة ومن أهم مدنه بنكث، ايلاق، الطراز، اسبيجاب - فاراب وكاشغر.

٦ - **إقليم الختل**: يشتمل هذا الإقليم على كوره واسعة كثيرة المدن خلف نهر جيحون فى القسم الجنوبى الشرقى منه بالقرب من تخوم السند، وتعد هلبك أهم مدنه بالإضافة إلى هلاورد، ولا وكتد، واسكنرة، ومنك؟

ومن أهم المماليك التى قامت فى تلك البلاد العصور الوسطى مملكة طخارستان على جانبى نهر جيحون وعاصمتها مدينة بلح، ومملكة صغاينان شمال نهر جيحون وعاصمتها شومان، ومملكة الصغد كانت تمتد من جيحون إلى سيحون وعاصمتها مدينة سمرقند، وكذلك مملكة فرغانة على جانبى نهر سيحون وعاصمتها خجندة أو كاشان وكان ملكها يلقب بالأخشيد، ثم مملكة خواررم فى أعالى نهر سيحون وعاصمتها الجرجانية، ثم مملكة أشروسنة فى الشرق من فرغانة، ولقب ملكها بالأخشيد، ثم مملكة الشاش فى شمال نهر سيحون وعاصمتها تاشكند.

ولم تكن هناك حدود ثابتة لهذه الممالك فقد كانت البلاد معرضة للهجوم والعدوان من جانب القبائل التركية أو الإمبراطورية الصينية أحيانا المجاورين لهذه الممالك. وكانت بلاد ما وراء النهر تسمى تركستان الغربية أو هى حاليا تمثل الجمهوريات الإسلامية التى انفصلت عن الاتحاد السوفيتى المنحل فى السنوات الأخيرة عام ١٩٩١م وهذه الجمهوريات هى أوزبكستان وتقع فى الجزء الشرقى من الاتحاد السوفيتى سابقا وتشترك حدودها مع أفغانستان، وجمهورية طاجيكستان وغيرها من الغرب والشمال أوزبكستان، ومن الشرق تركستان الشرقية (الصينية أو إقليم سيكنانج) وجمهورية تركستان أو تركمانيا وتقع غرب أوزبكستان، وجمهورية قيرغيريا وتحيط بها جمهورية أوزبكستان وطاجكستان وتقع شمال أوزبكستان وهذه الجمهوريات تعد المداخل الطبيعية لسهول سيبريا فى الشمال، ومن هنا فإن تركستان هى ما يعرف اليوم بجمهوريات آسيا الوسطى الخمس وهى تجاور سيبريا والصين وإيران والهند وأفغانستان.

وتقع تلك البلاد فى شمالا الدولة الفارسية القديمة وسكانها من العنصر

التركى الذى انحدر إليـها من الشرق منذ القرن السادس الميـلادى وكونوا لهم عدة ممالك مستقلة فيها، وقد خلدت آثار آرخـون أقدم ذكر للسان التركى وقد اكتشفت فى النصف الثـانى من القرن التاسع عـشر الميـلادى، وهى أهم آثار تركيـة أنشأها الترك أنفـسهم عن تاريخهم، فـأصحاب تلك الآثار سـموا أنفسـهم لأول مرة فى التاريخ باسم الترك وقد ظهروا فى القرن السادس الميلادى واستولوا فى زمن قصير على مساحات تمتد من حدود الصين إلى حدود إيران وبيزنطة.

وإقليم ما وراء النهر من أخصب أقاليم الأرض منزلة وأنـزهها وأكثرها خيرا وأهله يرجـعون إلى رغبـة فى الخيـر واستجـابة لمن دعاهم وفى عـامة مسـاكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية، والأشجار الملتفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة مما لا يوجد فى سـائل الأمصار وليس من الأقـاليم إلا ويقحط أهله مـرارا قبل أن يقحط ما وراء النهر.

وتجمع المصادر الجغرافية وكتب الرحالة على أن إقليم ما وراء النهر يتميز عن غيره من الأقـاليم بتنوع سطحه بين المناطق الجبلية والصحـارى لذلك نجد أن نشاط سكان المدينة قد تنوع بـين الزراعة والرعى واستخـراج المعادن والصناعة والتـجارة ونتيـجة لتوفـير الموارد الزراعيـة والمحاصيل والصـناعات المتعـددة، ووقوع الإقليم بأكمله على أهم طريق تجارى منذ القدم وهو طريق الحرير العظيم، فقد أعتبر إقليم ما وراء النهر من أهم الأقاليم التجارية حيث تمثل التـجارة مكانه كبيرة بين اقتصاد ونشاط سكان هذا الإقلـيم الذى يعتبـر أيضا الإقليم الذى أخرج لنـا أعظم علماء الإسلام فى الفقه والتفسير والسيرة والتاريخ وغيرها من العلوم.

ولم تخل أى من كتب الجغرافيين المسلمين من ذكر هذا الإقليم فقد وصفوه فى رحلاتهم وأعطوه حـقه من المدح والوصف مما أتاح للبـاحثين فـرصة الاطلاع على تاريخ وجغرافيا وعادات وتقاليد شعوبه.

يقول المقدسى صـاحب كتاب أحسن التـقاسيم فى معرفـة الأقاليم(هو أجل الأقاليم وأكثرها أجله وعلماء ومعانى الخـير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحـصنه الأعظم ملكه وأجل الملوك وجنده خـيـر الجنود، ترى به رسـاتيق جليلة وقرى نفـيسـة وأشجار ملفـتة وأنهـار جارية ونعـما ظاهرة ونواحى واسـعة ودينا

مستقيـما، وعدلا مقيما) وهكذا تبوأ هذا الإقليم مكانة عظيـمة فى عالم التجارة، وأصبح به العديد من المدن التى أصـبحت مراكز تجارية عظيمة تـأتى إليها وتخرج منهـا تجارات إلى غـيرهـا من مدن الإقليم والأقـاليم والبلدان المجـاورة كالصـين وخرسان والعراق وأوربا والهند.

وكانت هذه المراكز التجارية فى آسـيا الوسطى كانت تقع على طريق التجارة العالمى فى العصور الوسطى وهو طريق الحـرير الذى خطه التجار منذ ما يربو على الألفى عام عندما كان ينقلون النفائس بين الشرق والغرب، وهو الطريق الذى سار عليـه الغزاة والفـاتحون، كـالإسكندر الأكـبر والرومـان والفرس وجـيوش الفـتح الإسلامى وجحـافل جنكيزخان وهولاكو وتيمـورلنك، وحمل هذا الطريق الدعاة والمبشرين والبوذيين واليهود والمسيحـيين والمسلمين وعليه سار الرحالة العظام أمثال شيان تسونج وابن بطوطة وماركـو بولو،الذين لولاهم لما عرفنا كيف كان حال هذا الطريق فى العصور الوسطى.

وقد شـهد طريق الحرير أنواعـا شتى من التجـارات، لعل أغربها مـا عرف بالتجارة الصامتـة، حيث كان أحد الطرفين يترك بضاعتـه فى مكان متفق عليه ثم يأتى الطرف الأخر،بما يريد مقايضته بتلك البضائع ويضعه ويغادر المكان، فإذا عاد الطرف الأول وأعجبه مـا تركه الطرف الثانى مقابل بضاعـته أخذه وأنصرف، وإلا فإنه يغادر المكان دون أن يأخذ شيئا عندئذ يعود الطرف الأخر ويزيد المقابل ويغادر المكان ليـأتى الطرف الأخر ويأخـذ البضـاعة وينصـرف وكانت مطايا تجـار طريق الحرير، ودواب حمالهم، وهى الجمال البلخية ذات السنامين، والعربية ذات السنام الواحـد، والحميـر، والبغـال، كذلك شـهد الطريق اسـتئنـاس الحصان، وتولـيد سلالات قوية من الخيـل استخدمت فى الركوب وجر عربات سـريعة أحدثت ثورة فى مواصـلات هذا الطريق، وظهرت أسـاطير عن الخيل أهمـها أسطورة الخـيول السماوية التى كانت تأتى من فرغانة.

وكان الحرير يوما(ما) أهم سلعة تنقل على هذا الطريق، وخاصة من الصين التى ظلت زمنا طويلا تحتفظ بسر تربية دودة القز وصناعة الحرير، ولم يكن الحرير وحده هو البضاعـة التى كان ينقلها التجار على طريق الحرير، فـهناك أيضا اليشب

ذلك الحجر شبه الكريم، الذى عشقه الصينيون، والذهب والفضة، والزجاج كما انتقلت عليه سلعة غاية فى الأهمية أنتجتها الصين وهى الورق الذى أحدث ثورة فى عالم الثقافة والمعرفة، خاصة أن الصينيين ابتكروا أيضا طريقة للطباعة بالقوالب الخشبية، وانتقلت هذه الطريقة إلى أوربا بواسطة طريق الحرير.

كان طريق الحرير أقدم خط تجارى يربط أوربا ببلدان آسيا الوسطى مارا بالشام، وغيرها، فعالم حوض البحر المتوسط والغرب الأوربى. . .إلا أنه فى ذمة التاريخ الآن، لذلك اجتمع فى ١٣مايو١٩٩٦م وفود٤٠ دولة داخل خيمة فى صحراء إيران بينهم رؤساء دول أسيا الوسطى لإعلان قيام (طريق الحرير الجديد) من خلال خط السكك الحديدية الإيرانية والتركمانية الذى يكمل شبكة سكك حديد آسيا ويحيى طريق الحرير الذى يربط بين بكين شرقا والبحر المتوسط غربا.

***

ثانيا البعد السكانى

السكان: سكان أسيا الوسط

يتألف سكان آسيا الوسطى من خليط من الازوبك والطاجيكك والأتراك والتركمان والأكراد والفرس، وتغيير الاكتشافات الأثرية فى سهل أو نغور فى وادى فرغانه وغيرها من المناطق أن أجداد الأوزبك والطاجيك والتركمان والشعوب الأخرى، قد عاشوا فى منطقة مابين النهريين سيحون وجيحون فى آسيا الوسطى، وأنه مضى نحو خمسة آلاف أو ستة آلاف عام على تعلم هؤلاء السكان فلاحة الأرض وزراعتها، وظهرت المدن الكبيرة والصغيرة وتطورت فى هذه المنطقة الزراعة والحرف والتجارة.

وهناك العديد من الحقائق والمعلومات الوافرة عن سكان آسيا الوسطى وفرتها الحفريات الأثرية التى جرت فى مناطق خوارزم القديمة، والصغد، وفرغانة، والشاش (طشقند الحالية) إلى جانب ما كتبة المؤرخين والجغرافيين الرومان واليونان أمثال هيرودوس ت٤٢٥ق.م، وبومى ترونج ق.م وما كتبه المؤرخين الصينيين أمثال سيم - قسيان(١٤٥ - ١٣٥ق.م)، بان نمو(٢٢ - ٩٢م) وتشجين(٥٨٠ - ٦٤٣م).

وطبقا لما ذكرته المصادر السابقة فإن سكان آسيا الوسطى كانوا ينقسمون إلى قسمين:

١ - البدو:

ويطلق عليه اسم مشترك واحد، حيث كانوا يعرفون (بالسقيتين) (الساكتين، أى الذين يعيشون فى وديان الأنهار، وأطلق على القبائل التى تسكن ما وراء قزوين [القوقاز] (المساغيث) أى سكان المناطق الجبلية والثلج الأبيض.

ولقد ترك لنا هيرودوت وسترابون وغيرهم معلومات قيمة عن حياة الساكيين والمساغيت، وعن عادتهم وتقاليدهم، فهم يشبهون بعضهم بملابسهم ونمط حياتهم، فهم يحاربون بالسهام والرمح ويستخدمون الأسلحة التقليدية العادية وبلطات الحرب، أما عادتهم فهم على الرغم من أن الواحد منهم لا يتزوج أكثر من مرة، إلا أنهم يستخدمون زوجاتهم بصورة جماعية مشتركة، ويقتانون جذور النباتات والثمار البرية ويكسون أجسادهم بلحاء الخشب، ويشربون العصير المستخرج من ثمار الأشجار، ويأكلون الأسماك ولحوم الأغنام التى يحتفظون بها للاستفادة من أصوافها ولبنها حيث كانوا يمارسون حياة القبائل الرحل.

كان لهؤلاء السكان نمط واحد فى الحياة، متشابهة فى مراسيم دفن موتاهم وفى طباعهم وعادتهم ونظام حياتهم اليومى، لا يعترفون بإلهه أخرى غير الشمس التى يضحون لها بالخيول.

وعن بعض عادتهم فقد كان الجميع ذو روح قتالية، لا يطمعون بجمع الثروات ويتعاملون بعدل ومساواة وكل ما لديهم من النساء والأطفال والآسر مشاع ومشترك بينهم، يتنقلون بواسطة العربات يعيشون على الألبان، لا يسمحون بالملكية الخاصة، فحياتهم مشاعة تماما، وتعود الأملاك كافة إلى الجميع كان السقيتيون سكان آسيا الوسطى القدماء ذوى شأن وقوة عظيمة، وكانوا يعتبرون أنفسهم دائما من أقدم القبائل، ويضاهون المصريين القدماء بقدمهم.

ومن تقاليدهم أيضا أنه إذا أراد أحد الساكيين أن يتزوج فتاة، فعليه أن يصارعها، فإذا تغلبت عليه أصبح أسيرها وخاضعا لإرادتها ومشيئتها خضوعا تاما، وإذا تغلب عليها استطاع إخضاعها لسيطرته.

النوع الثانى من السكان [الحضر]:

أما سكان آسيا الوسطى الحضر المزارعون فكانوا يعرفون بأسماء المناطق التى كانوا يعيشون فيها وينسبون إليها ويطلق عليهم الخوارزميون، البعتيريون، السغديون، التشاتشيون (الطشقن ينون) الفرغانيون وكانوا يزاولون الزراعة، يزرعون الأرز والقمح ويصنعون النبيذ من العنب، كانت لهم العلاقات بإمبراطورية الصين المجاورة، وكانوا تجار مهره ولهم أسواق تتوفر فيها البضائع والسلع المختلفة.

ولكن هؤلاء السكان من الحضر رغم إقامتهم فى المدن والقرى الكبيرة، إلا أنهم كانوا غير متضامنين، ولا تربط بينهم علاقات قوية، الأمر الذى استغله جيرانهم الصينيين، حيث كانت لكل قرية من هذه القرى دولتها ولها قواتها التى تفتقر إلى عدم الاتحاد.

اللغة المستخدمة:

كان لكل قبيلة بدوية أو حضرية لهجتها، فحدث اختلاف كبير جدا بين اللهجات الدارجة إلا أنهم استخدموا فيما يبدوا لغة واحدة هى التركية نظرا لتزايد عملية التتريك فى آسيا الوسطى فى منطقة ما وراء النهر، حيث قدمت لها قبائل عديدة تنطق بالغة التركية، والتى كانت لها علاقات اقتصادية وثقافية مع الصغد والخوارزميين والفرغانيين، مما أدى إلى زيادة نشاط الشعب التركى نظرا لانتشار لغته التى أصبحت هى اللغة الرسمية فيما بعد.

ونظرا للحياة القبلية التى عاشتها شعوب آسيا الوسطى، فقد اختلطت اللغة بسمة قبيلة فكثرت اللغات المحلية إلى جانب التركية والفارسية، ثم تغلغلت اللغة الآرامية التى أصبحت أساس اللغتين الصغدية والخوارزمية، إلا أن التركية ظلت هى الغالبة بل كانت هى اللغة الرسمية.

كما وفدت إلى هذه الأقاليم شعوب ناطقة باللغة الإيرانية نزحت من إيران الشرقية جنوب آسيا الوسطى إلا أن اللغة التركية كانت هى السائدة، لأن الأتراك قد قاموا بدور مهم وجوهرى فى تاريخ السلالات البشرية فى آسيا الوسطى، والتى أصبحت المقر الشتوى للأتراك حتى حدود الصين، والدليل على ذلك أن أغلب

المدن حملت أسماء وتركية مثل سمرقند(ساميز قند) أى مدينة المسرات شاش – طشقند – أوزقند – تونقند وكلمة (قند) بالغة التركية تعنى مدينة، لأن الأتراك هم الذين بنوا هذه المدن وقاموا بتسميتها، ولا تزال تحمل هذه الأسماء حتى اليوم، رغم أن معظم سكانها من الفرس.

الحياة الاقتصادية للسكان:

مارس الساكتين البدو رعى الأغنام والماشية، وعاشوا حياة البدو الرحل، وكانوا يربون الأغنام والماعز والبقر والخيول والجمال التى كانت توفر لهم المأكل والملبس أما السكان الحضر فى بخارى وفرغانه وبامير، وخوارزم وسمرقند وغيرها فكانوا يمارسون الزراعة والصناعات اليدوية والتجارة، لقد كانوا يزرعون الحبوب(القمح – الشعير – الأرز) والقطن والسمسم، والبطيخ، كما كانت البساتين منتشرة فى المناطق الحضرية حيث زرع المشمش والخوخ والكروم كما تطورت شبكات الرى، طرأ مزيد من التطور على صناعة النسيج، والخزف، والحلى والتعدين والبناء، وكان حرفى وصناع آسيا الوسطى ينتجون المصنوعات من الذهب والفضة والنحاس المرصعة بالأحجار الكريمة، ويصنعون الآلات والأدوات، والأسلحة، ويبنون القصور الرائعة والقلاع والحصون والجسور ويشقون الطرق، ويتأجرون مع بلدان الشرق والأتراك.

فقد ساعدت ثورات البلاد الطبيعية على تطوير الصناعة والتجارة، فقد كانت البلاد غنية بالمعادن كالذهب والفضة والنحاس والحديد والنفط والكبريت والأحجار الكريمة كالفيروز والقصدير والرخام والنشادر واللازورد وغيرها.

كذلك كانت الصناعات اليدوية متطورة، حيث كانت صناعة التعدين ومهنة صناعة الخشب والفخار والخزف وصناعة الحلى والمجوهرات والنسيج والحياكة، صناعات متطورة أيضا، وكان الحرمينون الفرغانيون يصنعون المصوغات الرائعة الحلى(الخرز والأقراط،والخواتم) من الذهب والفضة والبرونز، وأدوات الزراعة وآلات الحرب مثل السهام والخناجر والدروع، والتروس.

العقائد:

وكان لهم ربان هما الأرض والماء، والـهنان تتجسدان فى شخص مـيترا وأنا خيت، وكان من آلهتهم (نما فوما ردو) نصفه إنسان ونصفه الأخر ثور، وكان يرمز إلى القـوة الكونية التى أوجـدت المخلوقـات كافـة، لكن الشمس كـانت المعبـود الرئيسى والرسمى لاعتقادهم بأنها أسرع الأرباب وأكبرها فهى جديرة بأن يقدم لها أسرع الحيوانات، وهى الخيول.

وعبـد بعضـهم الأرض، وقدسوا الأجـداد والأسلاف، ثم انتـشرت الديانة الزرادشتـية انتشارا كـبيرا فى آسيـا الوسطى، فى الفترة مـا بين القرنين ٦:٧ق.م، وانتشرت حـتى بلغت الهند وبلاد فارس، الزرداشتـية: ديانة تنسب إلى زراداشت نجسـد الصراع بين الخـير الممـثل بأله الخيـر(أهورمزودا) والشـر المتمثل بأنـه الشر أهريمان وتشـجب الزهد، زاعمة أن ذلك يؤدى إلى انتـصار الشر وتعتـرف باليوم الأخر، وتقول أن أنصـار الخير مصيرهم الجنـة، وكتابها المقدس يسمى (الافـسية) ويضم تعـاليم زرداشت يتألف مـن أربعة أجـزاء شعـرا وأناشيـد وأساطيـر دينة، والفكرة الرئيسية فى الكتاب تكمن فى الصراع بين الخير والشر.

ويبدوا أن الزوارشـتيه كـانت دين الطبقة الحـاكمة وفـقا لما كان عليـه الحال بإيران، وكانت البوذية واتباع النساطرة قد تمتـعوا بقدر كاف أيضا من الحرية الدينية فى بلاد ما وراء النهر ولكن بين العـامة، ولقد اكتسب زعـماء الطوائف الدينية فى أسيا الوسطى مكانه عظيـمة بين أتباعهم، وكان لطبقة الكهنـوت تأثير السحر على الناس، فـفى أثناء اسـتيـلاء قـتيـبـة بن مـسلم البـاهى على مـدينة بـيكند سنة ٨٧هـ/ ٧٠٦م كان هناك رجلا أعور مهمته اسـتنفار الترك ضد المسلمين، وقد عده المسلمون أشـد خطرا عليهم من القواد العسكريين، فلمـا وقع فى أسرهم وأراد أن يفتدى نفسه بآلف درهم، لم يجد هذا المبلغ الضخم فى إغراء المسلمين بإطلاقه بل فضلوا التخلص نهائيا من كيد هذا العدو الدود الذى كان أحد كبار رجال الدين.

الحياة السياسية فى آسيا الوسطى قبل الإسلام

الدول المتعاقبة على حكم آسيا قبل الإسلام:

١) الدولة الأخمينية:

والتى انتهى حكمها فى آسيا الوسطى بقدوم المقدونين سنة ٣٣٠ق.م، وكانت دولة الاخمينين دولة ظالمة عانى سكان آسيا الوسطى فى ظلها الظلم والاستبداد وسلبوا سكانها ثرواتهم الطائلة وهى دولة فارسية.

٢) الدولة المقدونية: آسيا الوسطى تحت حكم الإسكندر المقدونى وخلفاءه:

بدأت حملات الإسكندر المقدونى الذى دار حكمه من ٣٣٦ - ٣٢٣ق.م على الشرق فى عام ٣٣٤ق.م فى طريقة إلى آسيا الوسطى، ألحق الإسكندر عدة هزائم فادحة بالجيش الفارسى إذ دمر خيرة فرسان الاخمنيين، وأسر زوجات الملك الفارسى "دار الثالث" وأفراد أسرته كما أسر قافلته الهاربة إلى دمشق، واستلمت له المدن الكبرى مثل صور، ثم احتل مصر. وبهذا سقطت المنطقة الأكثر أهمية اجتماعيا واقتصاديا واستراتيجيا بالنسبة للدولة الاخمينية وأصبحت بيد المقدونيين، ثم احتل ممالك الفرس إلى أن وصل إلى آسيا الوسطى فاحتل سمرقند وأخضع الصغيين له رغم مقاومتهم الشديدة وبعد هزيمتهم أشركهم الإسكندر فى جيشه كما هاجر هو وقادته العسكريون الأعيان والأمراء المحليين منهم، لهذه السياسة أثرها فى تقريب شعوب آسيا الوسطى منه.

وبعد وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ق.م واصل خليفته على الجزء الشرقى بيرديكا - القائد الأعلى لخيانة الإسكندر فتوحاته فى آسيا الوسطى والمحافظة عليها، ثم واصل(أنتى بار) القائد المقدونى للسيرة.

ولقد جلب المقدونيون معهم إلى آسيا الوسطى ثقافتهم الرفيعة علميا بالثقافة الهيلانية، وبنو المدن مثل الإسكندرية على شاطئ البحر المتوسط فى مصر وغيرها، وسوزنان فى إيران، ورأسة (هرات الحالية) وشيدوا العمارات الشاهقة، وقاموا بعمليات إعادة عماد على نطاق كبير فى آسيا الوسطى فقد ساعدوا على تطوير العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين الشرق والغرب، كما يعدوا على

ظهور العديد من الدول المحلية الجديدة مثل دولة السلوقيين والباريثيين والدولة البقديرية فى آسيا الوسطى وشمال أفغانستان.

٣) آسيا الوسطى ضمن دولة السلوقيين:

هى الدولة التى أسسها سلوقوس الأول - فيكتور (أى الظافر) ابن أحد النبلاء المقدونيين وأحد قادة الإسكندر المقدونى العسكريين، وتعرف بالمملكة السورية، فكانت تخضع لسيطرتها الأرض الممتدة من البحر الأبيض المتوسط إلى إيران الشرقية ثم شملت الهند وسرداريا.

وقد ضم سلوقوس الأول (٣١٣ - ٢٨١ق.م) آسيا الوسطى إلى دولته فأصبحت(ولاية) من ولايتها وقام هو وخليفة انطوخيوس الأول (٢٨١ - ٢٦٠ق.م) بإنشاء مستوطنات يونانية محصنة فى الصغد وخوارزم وخرسان لتحميها ضد أطماع الإمبراطورية الصينية المجاورة، وفى أواخر عهدها استقل الولاة بولاياتهم ومنهم ولاة آسيا الوسطى فى بقتيريا وفرغانه وغيرها مما أدى إلى سقوط الدولة السلوقية.

٤) المملكة اليونانية البقترية فى آسيا الوسطى:

فى عام ٢٢٩ق.م أعلن والى السلوقيين - ديوروت على بقتيريا استقلالة بها وكون مملكة يونانية بقيترية متراحية الأطراف، تضم بقتيريا والصغد وخوارزم، وكانت تلك المملكة على مستوى عال من المدينة والتحدث فقد كانت متطورة جدا فى ميدان الصناعة والتجارة. كما كان سكانها يزاولون مهنة استخراج الثروات الطبيعية وكانت لها علاقات تجارية مع إيران والصين والهند.

وكانت تلك المملكة ذات ثقافة رفيعة، حيث أقترنت فيها ثقافة آسيا الوسطى المحلية بالثقافات الأخرى اليونانية، والإيرانية، والهندية، مكونة ثقافة رفيعة من نوعها عرفت بالثقافة اليونانية البقتيرية، وكان لسكانها كتاباتهم حيث استخدموا الحروف الآرامية واليونانية وكانت المملكة البقتيرية واسعة ذات مدينة راقية فقد ضمت مدن زار ياساب (بلخ) وماروقند (سمرقند) وخجند - وديميترياس(ترمذ) وغيرها من المدن الكثيرة.

٥) دولة باركان (فرغانة):

فرغانه بلاد قـديمة عريقة – تقع فى وادى فرغـانه الرحب المترامى الأطراف وتبلغ مساحتها ٢٢٠٠كم، طولها زهاء ٣٠٠كم وعرضها١٥٠ – ١٧٠كم، وتحيط بها من ثلاث جـهات السلاسل الجبلية ومن الجـهة الجنوبية فقط لهـا ممر ضيق (ممر خجند) يجرى فيه نهر سوداريا سيحون، الذى يعد من أعظم أنهار آسيا الوسطى، ويروى السهـوب والأدوية وسط السلاسل الجـبلية، ويحـتل وادى فرغانـه بفضل مناخه الجـيد وخـصوبة أراضيـه وموقـعه الجغـرافى، مكانه هامة جـدا اقتـصاديا واستراتيـجيا، فقد كـان يمر بوادى فرغانه أحد فـروع طريق الحرير العظيم، الذى كان يربط الصين باليـابان ببلدان الشرق الأوسط والأدنى وروسيا وأوربا الشـرقية، وكان طول هذا الطـريق الفرعى أكثـر من٧٠٠كم وكانت له فـروع وادى التاى – بقتريا – فرغانـة الجبلية، المعابر الجبلية، فكانت فرغانه بذلك طريـقا لحركة تجارية نشطة فى الماضى القديم والعصور الوسطى، ولذا كان وادى فـرغانه ولايزال يعتبر من أهم مراكز آسيا الوسطى الاقتصادية.

ويتـألف السـواد الأعظم لسـكان وادى فـرغانـه من الأوزبك والطاكـيك، والقرغيز، وكانت فرغانه منطقة كثيفة السكان ذات ثقافة وحضارة، سكانها حضر، مزارعون يزرعـون الأرض الأرز والقمح ويزرعون النبيـذ من العنب، وتكثر لديهم الخيول (الفـرغانية) التى تتـفصد عرقا ممزوجـا بالدم، وهى خيول سمـاوية حسب الأسطورة الصينية.

كانت فرغانه تسمى قـديما دوان ذات مدن كبيرة وصغيرة وكثـيرا ما اعتدى عليها الصينيون بحكم الجوار نظرا لغناء هذه البـلاد، وشهرتها التجارية مع الصين والهند وبلاد الشرق الأقصى فقد شاركت فرغانه مـشاركة فعلية فى التجارة الدولية بحكم وقوعها ضمن طريق الحرير العظيم.

٦) دولة كانغلى:

كانت قـائمة فى الفترة مـابين القرن٣ – ٢ق.م والكانغلى (كانغـار، كانغ، كانغو) شعب تركى، يعنى باللغة التركية كانكا أى العربات التى تنقل عليها الغنائم فى الحروب، وكانت عاصمتهم تسمى (كانخا أو كانكا) وكانت مدينة عظيمة قربية

من مدينة طشقند الحالية، وكانت تجاور إمبراطورية الصين، وكان سكانها يزاولون تربية الماشية، لاسيما الأبقار والخيول والماعز، وفى وديان الأنهار وحول البحيرات كانت الزراعة الحبوب(القمح، الشعير، والعنب) واشتهرت الحرف الصناعية مثل الحدادة والنسيج والحياكة وصناعة الحديد والنحاس والفضة، وأدوات العمل والأسلحة والأدوات المنزلية، كما بلغت صناعة الأقمشة القطنية والثياب والمصنوعات الجلدية والصوفية والقبعات، واشتهرت المنتجات المصنوعة من الغطاء والحديد مثل المناجل والسكاكين والمعادن وكانت التجارة بدورها متطورة على الصعيدين الداخلى والخارجى، إضافة إلى تطور إنتاج الصناعات اليدوية، وقد لعب طريق الحرير العظيم الذى كان يمر من خلال أراضى الكانكيين دورا هاما، فبفضله استطاع سكان آسيا الوسطى إقامة علاقات تجارية وثقافية نشطة مع الهند والصين وإيران وآسيا الصغرى، ومن خلالها مع اليونان ورما وأوربا. وقد سكت دولة كانكا عملة خاصة بها وكانت لهم معابدهم وهم معابد النار كما عبدوا الشمس والحيوانات، كما كانت لهم ثقافتهم فى بناء المدن الحصينة المحاطة بأسوار عالية منيعة، خلفها خنادق عميقة عريضة، مملوءة بالماء كالمواقع دفاعية، بالإضافة إلى التقدم فى فن المسرح والموسيقى والآلات الموسيقية.

٧) دولة كوشان:

دولة كبيرة ضمت فى مرحلة ازدهارها (ق - ١، وبداية - ٣م) معظم أراضى آسيا الوسطى، وأفغانستان، وشمال الهند والجزء الغربى من باكستان الحالية، وقد ظهرت فى حدود القرن الأول الميلادى، بعد مرور أكثر من قرن على تفكك الدولة اليونانية البقيترية وانهيارها وقد بلغت الإمبراطورية الكوثانية ذروة تطورها وازدهارها فى القرن الأول الميلادى، ثم انهيارات فى القرن الثالث الميلادى، وكانت الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية فى دولة أوثان متقدمة، وقد كانت العلاقات تجارية نشيطة بالصين، ومملكة البارثيين وحتى روما وغيرها عبر طريق الحرير العظيم الذى كان يمتد من عاصمة الصين القديمة، إلى سوريا ثم مصر التى كانت خاضعة للحكم الرومانى.

وكان أقدم خط تجارى يربط أوربا ببلدان آسيا الوسطى يمر عبر القرات

وهمذان وانطاكيا ومرو وطخارستان وتركستان الشرقية، حتى الصين مرورا بدولة كوثان وكان الحرير من السلع التى تنقل بالدرجة الأولى من الصين إلى أوربا والبلدان الأخرى، ومن الهند التوابل والاقاوية، وكانت سلع آسيا الوسطى وسلع سمرقند وبخارى، وفرغانه تلقى رواجا وإقبالا سكورين فى أوربا وبلاد الشرق.

وقد ضمت الإمبراطورية الكرثانية سكان ذو لغات وعادات وتقاليد وأفكار مختلفة، وكان الأمر كذلك يتعلق بالأديان والمعتقدات، فقد عبدوا الشمس والقمر والنار، وصور بوذا وهيلانية اليونانية كما وجدت الكثير من المعابد والمقدسات الدينية البوذية.

٨) دولة الايغتاليت:

يبدأ حكمها لآسيا الوسطى اعتبارا من سنة٤٥٧م حينما قام ملكهم(وحش النار) بإخضاع طخارستان وبدخشان، ويعرفون باسم الهون البيض، وذلك لكونهم حضرا ذوى بشرة بيضاء، ومتمدنيين بالمقارنة مع أبناء الهون الآخرين الرحل.

وقد أقام الايغتاليت دولة قوية لهم فى آسيا الوسطى خاصة فى أفغانستان، شمال شرقى الهند وفى جزء من تركستان الشرقية، وقد حاربوا الساسانيين منازعين إياهم على إيران الشرقية وقد انتصروا عليهم انتصارا ساحقا حيث استولى على وادى كابول، البنجاب، وكاشغر كما اضطر كسرى انو شروان (٥٣١ – ٥٧٩م) فى بداية حكمه، لدفع إتاوه للايغتاليت، ولكن فى النهاية سقطت دولة الايغتاليت تحت ضربات الحكام الساسانيين والأتراك والهنود. وكانت دولة الايغتاليت دولة إقطاعية حيث شكل الإقطاعيون فضائل عسكرية جيدة وقد تطورت الحرف اليدوية والتجارة، وأسهم الايغتاليتيون بفضل موقع مدنهم ومستوطنتهم (على طريق الحرير المشهورة) فى التجارة الدولية إسهاما فعالا، إضافة إلى التجارة مع الهند والصين وإيران وبيزنطية، وكانت المواد الأساسية فى التجارة بين الشرق والغرب، الحرير والزجاج الملون والمصنوعات المنتجة من هذا الزجاج، والتوابل، والأصباغ، والأحجار الكريمة كان الزجاج الملون يصنع من الأراضى التابعة لسيطرة الدولة الكوثانية، ويصدر إلى الصين.

وكان الإقطاعيون الأريسطقراطين بالوراثة يديرون شئونهم الاقتصادية

باستغلالهم سواد الشعب والعبيد بصورة قاسية لا تطاق مما أدى إلى قيام الثورات ضدهم، فقد كانت السلطة الحقيقية بيد هؤلاء الإقطاعيين المتمركزين فى القطاع وكان الحكام المحليون الذين يدعمهم الإقطاعيون يعيشون فى المدن الكبيرة ويحملون ألقاب الشاه فى خوارزم، ترمذ وخودات فى بخارى (وإخشيد فى سمرقند وكيش وفرغانه) وأغشين فى اشروسنة كانوا جميعا اسميا خاضعين لسلطة الخاقانية التركية الغربية.

٩ - الخاقانية التركية:

الجذور التاريخية للأتراك:

فمن الصعب علينا معرفة تاريخ وجذور الترك الأولى من المصادر التركية، نظرا لعدم توافرها، ونظرا لعدم معرفة الأتراك الأوليين بقواعد الكتابة، ويمكن معرفة هذه المعلومات عن طريق العناصر الأخرى التى احتك بها الترك، فمثلا أحوال الترك فى شرق آسيا تعرف عن طريق المصادر الصينية، أما الترك الذين هاجروا إلى الجزء الغربى من آسيا الوسطى وتأثروا بالحضارة الإسلامية فإن أحوالهم إنما تعرف من المصادر العربية والمصادر الفارسية، فالوصول إلى حقائق ثابتة فى موضوع الأصول التاريخية للأتراك، أمر يكاد أن يكون صعبا وعسيرا إذ أن سيرة القبائل البدوية تبدو وكأنها لم تنسق ولم تنظم، فإن أحداث تاريخها بلغت من شدة الاضطراب ما يجعل من المستحيل التماس خيط واحد يضم هذه القبائل بأسرها، فالأحداث التاريخية والحروب التى نشبت بين هذه القبائل والتى لابد للباحث أن يتبعها حتى يقف على ما يجرى بين هذه القبائل من محالفات، كانت من العوامل التى تعوق المؤرخ وتعطله عن المضى قدما فى دراسته.

فهناك مصادر كثيرة كتبت عن تاريخ الترك، ولكنها لا تمدنا بمعلومات كافية عن أصل القبائل التركية والأجناس، والأمراء والشخصيات البارزين فيهم، ومعنى هذا أن التاريخ البدائى للترك، لا يزال يكتنفه الغموض، ويخيم عليه الظلام، ويحيط به الخرافات والأساطير، يقول المؤرخ رشيد الدين، وحيث أن الأقوام الموسمين باسم الترك، مقامهم وسكنهم فى البلاد البعيدة التى طولها وعرضها من ابتداء جيجون وسيحون، إلى انتهاء حدود بلاد المشرق وانتهاء صحراء قبجاق إلى

غاية نـواحى جورجيـة والختل، ويسكـنون الجبال والـو هاد والاجام ولم يعـتادوا السكنى فى القـرى والمدن، وكـانوا بعـيدين عن بـلاد إيران، ولم يكن فى تاريخ المتقدمـين من أحوالهم ذكر مستـوفى والمعروف أن الترك لم يقدمـوا إلا حديثا إلى التركستان إذ ظهروا فى جبال التاى، فى القرن الأول الميلادى وحلوا فى كاشغر فى القرن التاسع الميلادى وفى إقليم ما وراء النهر، فى القرن الحادى عشر الميلادى.

وتخلد نقوش اورخـون أقدم ذكرى للسـان التركى وقد ظهـر الترك فى أول الأمر فى القرن السادس الميـلادى واستولوا فى زمن قصير على مـساحات تمتد من حدود الصـين إلى إيران وبيزنطة وكانت حكومـة أتراك القرن السادس منذ شـأنها تحت أمرة أسـرة، لا تحت أمرة شخص واحـد فقد كان خـاناتهم يستقـبلون الغزاء يعقـدون المعاهدات دون أن يرجعـوا إلى الخاقان الأعـظم (باشا خاقـان) المقيم فى الشرق وعرفت بدولة (كـوك - تورك) وكان مؤسسها (بومـين - خان) الذى وجد اسمه على نقـوش أورخون ولقد كان الترك مـوجودين منذ أقدم العصـور فيذهب المؤرخون فى نسبهم مذاهب شتى، فمنهم من ينسب هؤلاء الترك عامة إلى حادث الطوفـان أى إلى أبناء نوح عليه السـلام على اعـتبـار أنهم من ولد يافث بن نوح عليهم السلام وكان هذا النسب مطابقا لفكرة العرب الإسلامية فى تقسيم الشعوب واعتبرهم ابن خلدون من ولد كرومر بن يافث عليـه السلام أحد السبعة المذكورين من ولد يافث فى التوراة.

وزعم آخرون أنهم ولد (عابور بن سـويد بن يافث)، وقال آخرون أنهم من ولد (ترك بن طوج بن افـريد) واخـتلف المؤرخون حـول التـرك هل هم من يافث نفسـه أم من أحفاده أو أحـفاد أولاده فنسبـهم ابن خلدون إلى (كورمر) ونسـبهم البعض إلى (ترك بن عـامور بن سويل بن يافث) واعـتبر بن عامـور بن سويل بن يافث واعتبر المؤرخون الترك عامة مـن سلالة (يأجوج ومأجوج) فيقول الإدريسى: أن بلاد التـرك بل هم الأتراك على الحقـيقة وذلك لأنـه لما طغى يأجوج ومـأجوج وأكثروا الفساد فى الأرض، وشكى أمرهم إلى الإسكندر فلما قصد أرضهم واختبر أمرهم فوجد منهم أمم عم خيـرهم وكثر نسلهم وقل ضررهم وذلك أنهم هاجروا إلى الإسكندر قـبل أن يلحق بأرضهم واعـترفـوا بين يديه أنهم براء من إخـوانهم يأجوج ومأجوج وشـهد كثير من القبائل لهم بذلك وأنـهم يطلبون السلامة، وهم

حـريصون على ذلـك، فتـركهـم الإسكندر خارج السـد وأقطعـهم تلك الأرض فسمتهم العرب (تركا) لأنهم من ترك الإسكندر من آل يأجوج ومأجوج، واسكنهم خارج السـد، فجميع التـرك تركهم الإسكندر حلف السد، فانتـشروا فى الأرض وعمروها وكثـرت أنسالها وفشت أحوالهم واتصلت خبـراتهم ويقال أن ذو القرنين سماهم (ترك مان) بالفارسيـة، أى هؤلاء أن يشابهون الترك لما رأى شعرهم طويل ولكنهم خففوا إحدى النوين بالحذف لكثرة الاستعمال.

وقال آخـرون أن الترك من ولد (ترك بن يافث) الذى جعله أبوه ولى عـهده وهو أول من اخترع الخيام والاخبيـة والحركات للسكنى وعاش الترك ٢٤٠سنة بعد أن ارسى رسوم وعادات جرت بين قبائع الترك إلى اليوم.

ونادى بعض المؤرخـين بأن التـرك من نسـل قنطوراء جـارية إبراهيم عليـه السلام، حيث قـال من نادى بهذا الرأى أن إبراهيم عليه السـلام، كانت له جارية تسمى قنطورا حينما تزوج امرأة كنعانيـة بعد وفاة سارة اسمها قنطوراء ابنه يقطن، وقال بذلك المؤرخـون ثقات مثل ابن الأثـير فى الكامل وابن قتـيبة، فى الأخـبار الطوال وغيرها ونسبوا قنطوراء إلى أنها قنطوراء ابنة ملك الترك، وعلى هذا تكون الجارية منسوبة إلى الترك، واستنـد أصحاب هذا الرأى إلى حديث رسول الله ﷺ (اتركوا التـرك ما تركـوكم، فإن أول من يسلب مـتى ملكهم وما خـولهم الله بنو قنطوراء) وكذلك حديث الطبرانى عن مـعاوية أن بنى قنطوراء أول من يسلب امتى ملكهم، ومنهـا حديث حـذيفة بن اليمـان (يوشك بن قنطوراء أن يخـرجوا أهل العراق من عراقـهم كانى بهم خزر العيون عـراض الوجوه خنس الانوف) وقال أن بنى قنطوراء هم التـرك والتـتار، وقـيل أنهم من بقايـا قوم (تبع) ومن هنا كـانوا يسمون أولادهم بأسماء العرب العاربة، فـهؤلاء أى الترك ومن كان مثلهم يزعمون أنهم من العرب والسنتهم، أعجميـة، وبلدانهم غير عربية، دخلوا إلى بلاد العجم فاستعجموا.

ويعتبرهم بعض العلماء أنهم من الطورانيين وهو اسمهم العام على اعتبار أن الأمم ثلاث كتل، أو مـجمـوعات طورانية وسـاميـة وآرية، فالأوربيـون والعجم والأرمن من نسل الآريين، والعـرب والسريان والعـبرانيون من الأقـوام السامـانية

والترك من الطورانيين، وهم أمة مستقلة ومتألقة من قبائل كثيرة يشملها هذا الاسم ولما كانت كل أمة تتخذ لها جدا أعلى فقيل أن ترك هو جد الأتراك.

وزعم الترك أنهم من العرب على اعتبار أنهم، من أولاد مذحج، ولذلك قال شاعر الشعوبية للعرب فى قصيدة طويلة:

زعمتم بأن الترك أبناء مذحج وبينكم قربى وبين البرابير

وذلكم نسل ابن ضبة باسل صوفان انسال كثير الجرائر

وقال آخر:

متى كانت الأتراك أبناء مذحج إلا أن فى الدنيا عجيبا لمن عجب

وجماعات الترك عبارة عن عدة أجناس وعدة ممالك ولكل جنس مملكة منفردة بذاتها ويحارب بعضها بعضا، وليس لهم منازل أو حصون وإنما ينزلون القباب التركية المضلعة ومساميرها سيور من جلود الدواب والبقر، وإنما غذاؤهم ألبان الحيوانات، ويأكلون لحومها وأكثر ما يأكلون لحوم الصيد والحديد عندهم قليل وهم يعملون سهام من عظام.

ويعتبر البعض الترك من الشعوب التى تكونت منها الأمم قبلا، وهم سبعة الفرس والكلرانيون واليونان والقبط والترك والهند والصين ثم تفرغ كل واحده من هذه الأمم إلى أمم وتشعبت اللغات وتباينت الأديان، والترك أمة فخمة المملكة وفضيلتهم التى برعوا فيها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها فهم أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية.

ولا تؤخذ هذه الروايات حول أنساب الأتراك على سبيل ومجمل التصديق نظرا لإرجاع كثير من المؤرخين القدماء الأمم إلى حادث الطوفان وغيره من الأحداث.

أما المؤرخون المحدثون فيرجعون نشأة الشعب التركى إلى مناطق التبت، والصين فى الشرق، والجنس الآسيوى القديم (السيبرى) فى الشمال، والشعوب الفنلاندية فى الغرب فمن بين هذه الشعوب جميعا، نشأ الشعب التركى فوق سهول سيبريا الشمالية الواسعة، والبوادى القائمة بين بحر الخزر (قزوين) وجبال

آلتاى من جماعات عرقية ولغوية لعلها تنتظم فى العصور الأولية المغول، وكان يتولى قيادة هذا الشعب فى العادة شخصيات حاكمة كبيرة مثل تلك التى نشأت بين ظهرانى الشعوب ذات الوضع القبلى، حتى إذا اندفع الترك من مرتفعات تيان شاه إلى آسيا الوسطى، كانت قد تمت لهم خصائص عرقية متميزة يدعوها علماء الأجناس البشرية بالخصائص الطورانية وتميز أتراك الشمال منهم بملامح مغولية أما أتراك الجنوب فاحتفظوا بشكل جسدى متناسب الأعضاء يميل إلى الكبر بعض الشئ، ووجه متوسط الطول، يتميز بأنف مستقيم بارز وجبهة عالية شديدة الانحدار وشعر كثيف.

ولم يظهر أى أثر واضح للترك يؤخذ به إلا فى القرن السادس الميلادى، حينما وردت كلمة (ترك) أول ما وردت علما على شعب من البدو، وترك بالصينية (توكيو) وقد أقام هؤلاء البدو من الترك دولتان امتدتا من منغوليا وحتى الصين الشمالية حتى البحر الأسود ومؤسس الأولى الشرقية هو بومين ت٥٢٢م ويعرفه أهل الصين باسم تومين أما أخوه الثانى استمى الذى وجه الفتوح ناحية الغرب فقد عاش إلى عام ٥٧٦م ويعرفه أهل الصين باسم(شى تى مى).

وقضت أسرة تانغ الصينية على الدولة الشرقية حوالى سنة٦٣٠هـ، وعلى الدول الغربية سنة٦٥٩م، ولكن أتراك الشمال ما لبثوا أن خلعوا فيرا الأجنبى سنة٦٨٢م، ليحتفظوا باستقلالهم حتى سنة٧٤٥م، ونجحوا فى ضم بلاد الترك الغربية إلى دولتهم.

واشتهر قبائل الترك الغربية قبائل التركش التى تلقب شيوخها بالخانية فى الأعوام الأخيرة من القرن السابع، وقضى العرب بقيادة نصر بن سيار على مملكة التركش سنة ١٢١هـ، الموافق٧٣٩م.

أما كلمة ترك هذه فإنها لم تكن موجودة قبل القرن السادس ويرى طومسون مكتشف نقوش أورخون، أنها اسم لقبيلة مستقلة أو على الأرجح اسم لأسرة حاكمة، ويحتمل أن يكون المعنى الأول للكلمة بمعنى (تورك) ولكنه يعترض قائلا أنها وردت بمعنى(قوم) فى نقوش أورخون فى موضع، وفى موضع أخر لم ترد بهذا المعنى.

وقد تكون بمعنى المسوى والمهيأ، وقد تكون لها علاقة بكلمة(تور)، التى يكثر استعمالها فى نقوش أورخون بمعنى الجماعة المتحدة بالقانون والتقاليد، واتسع مدلول الكلمة ليشمل كل القبائل التركية، ويحتمل أن يكون المفهوم الحالى لكلمة تورك، اصطلاحا إسلاميا، حيث لاحظ العرب أن أقواما كثيرة من التى حاربوها فى القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت تتكلم نفس اللغة التى يتكلمها الأتراك، فأطلقوا عليهم اسم (الترك).

ولقد سعى البعض إلى إثبات وجود لغات تركية فى القرون المتقدمة، فقد ذهب البعض إلى أن خير الشعوب البدوية القديمة هم السكوث أو فريق منهم على الأقل، وقد ذكر أن أخو ملك السكوث ويدعى قاتاسيس، كان يقطن فيما وراء نهر سيحون، وقد يكون هذا الاسم هو عين الكلمة التركية (قرداش) ومعناها أخوه وعلى هذا، تكون هذه هى أول إشارة إلى شعب تركى فى التاريخ.

وقد أورد هيردوت كلمة ربما كانت مرادفه لكلمة طعام فى التركية وهى كلمة آجى أو آجى ومعناها مر، مما يدل على أن الكلمة قديمة، ويقال أن الترك هم قوم (سينى) أو سير التى ذكرتهم، المراجع الصينية، والذين طردوا الهون من بلاد المغول حوالى نهاية القرن الأول الميلادى، وقالت أنهم من جيرانهم من ناحية الشرق، وجرى العرف، على أن السينى قوم أو شعب من شعوب تونغور، وهو أحد الشعوب الناطقة بالتركية.

وكان لهذه الشعوب التركية لغة التآية بدائية، وكانت فى مستوى واحد مع نقوش أورخون، حيث كانت مخارج الحروف أورخونية وكانت كلمة ترك تدل على القوة والبأس، ويبدو أنها كانت تدل فى النقوش أيضا على معنى سياسى أكثر من دلالتها على معنى جنسى.

ولقد انساح الترك فى بقعة من الأرض، ولذلك كانت الفروق بين اللهجات التركية أكبر ومع هذا فإن معظم اللغات واللهجات متشابهة، وليس هناك سوى لهجتين هما لهجة ياقوت ولهجة جوفاش وهما أقدم لهجتين تركيتين.

وقد ذكر جغرافيو العرب فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى إن كلمة ترك لا تستعمل فى المصنفات الجغرافية إلا على طائفة من الشعوب ومزيج من

اللغات ولا تدل كما هو الحال فى النقوش الاورخونية على شعب واحد، أو مملكة واحدة، فقد ذكروا. أن الترك أجناس كثيرة، وشعوب متعددة، وقد ذكرت لنا نقوش أورخون خمسة، شعوب تركية وهذه الشعوب، التغرغز، والخرخير (القرغيز) الكيماك، والغز، أى الاغور والخرلج، أى القرلق، وكانوا يسكنون الأراضى التى تقع على نهر ينيسى الأعلى.

ويعتبر محمود الكشغرى فى ديوانه عن الترك من أكثر المصنفين المسلمين الذين أفاضوا فى ذكر الشعوب التركية ومواطنها وعادتها ولهجاتها فقد جاء فى ديوانه أنه كان عشرون شعبا تركيا منذ الأزل انقسموا إلى فريقين: الشماليون والجنوبيون وكل منهم عشرة شعوب أما شعوب القسم الشمالى فهى: البجاناك، والقفجاق، والاوغور، والكيماك، والباشغرات، والبسمل، والقاق واليباقو، والتتار، والقرلق، أما شعوب القسم الجنوبى فهى: الجكل، والنخس، اليغما، الاغراق، الرجق، الججل، الاويغور، والتكلت، والختاى.

على أن هذا الرأى قد يبدو غير صحيحا، نظرا لأن هناك قبائل من هذه القبائل المذكورة مثل القرغيز الذين عاشوا على نهر ينيسى، انتقلوا إلى أقصى الشمال الشرقى وإن التتارك قد عاشوا فى(أوتكان) على نهر أورخون، أى أنها أبعد من ذلك شرقا وكان للقاى، واليباقو، والتتار، والبسملة لغات خاصة بها.

ولقد قسم جغرافيو العرب فى القرن العاشر الميلادى بلاد الترك، وشعوبها إلى ثلاث أقوام من الترك فى الأرض الممتدة من بحر الخرز إلى حدود الصين وهؤلاء هم:

١ - الغز وينتشرون فى الأراضى الممتدة من بحر الخرز إلى أواسط مجرى سيرداريا.

٢ - القارلوق وينتشرون فى الأراضى التى تمتد إلى مسيرة عشرين يوما شرقى فرغانه.

٣ - التغزغز أو طوقوز أوغور يسكنون الأراضى التى تبدأ من حدود أراضى القالوق وتمتد حتى الصين.

ويعتبر أواخر القرن السادس الميلادى، وأوائل القرن السابع هو بداية ظهور

شعب جيد فى بلاد ما وراء النهر، طبقا لنقوش أورخون، وإن هذا الشعب اتخذ للمرة الأولى فى تاريخ هذا الإقليم اسم الترك.

وقد كان الترك بدوا فى حياتهم الأولى، لذلك أمعنوا فى البداوة، وأهملوا الزراعة التى لم يعرفوها فى بلادهم الأولى، وكانت هذه الشعوب التركية ليس لها نظام سياسى واقتصادى ثابت، فالبدو عادة لا يفكرون فى أن تضمهم رابطة سياسية غير رابطة القبيلة، وتجرى أمورهم طبقا للعرف الذى تولده علاقات العشائر بعضها ببعض، ولم يكن للأتراك مدينة وحضارة معينة قديمة كما كان للفرس مثلا، إذ كانوا بدوا أو أشبه بالبدو. جاءوا إلى الشرق الإسلامى وعاداتهم وتقاليدهم. لا بحضارتهم وثقافتهم، فقد كانوا من ناحية الحضارة قابلين لا فاعلين.

وعرف هؤلاء البدو من الأتراك بالصلابة، وعدم الاعتناء بالمدينة والحضارة والاهتمام الدينى، فالترك شعب فظ غليظ، خفيف الدكاء وكانوا يسكنون الجبال، وفى مناطق وعرة عسيرة الولوج، وكان كل همهم هو العثور على مرعى طيب لماشيتهم، ذلك لأنهم يعتمدون فى طعامهم اعتمادا مطلقا على الغذاء الحيوانى، الذى كان منه الخيل والبغال، والترك باعتبارهم بدو، فهم كثيرو الترحال لا يقيمون بأرض واحدة أبدا، ولكن متى اقترب الشتاء انتقلوا إلى سهول أدفأ، لكى يجدوا مراعى كافية لماشيتهم، كما أنهم فى الصيف ينتجون المواقع الباردة فى الجبال، التى يتوافر فيها الماء والخضرة والترك أهل نجدة وشدة بأس، وهو فرسان أماجد منذ فجر تاريخهم، وأول أمرهم وقد وسمهم بهذه الصفات بيئة آسيوية من الأحراش والفيافى لا يعيش فيها إلا مقدام يتمتع بعقلية بدائية تمجد القوى تمجيدا، وتستحقر الضعيف استحقارا، فلا تعرف له حقا من الحقوق، ويقال أن ترك بمعنى قوة، كما يسمى الفرس، الغارة الشعواء غارة بالترك، وقد يبلغون حد الشطط، فيطلقون لفظ تركى على المتلصص والفظ، والصعلوك المتجول، وبذكرهم الفرنسيون فى أمثالهم، فيقولون قوى كالتركى، ويقال شاعرهم(لقد مر الترك من هناك، فما بعدهم إلا الدمار والبلاد والهلاك).

ويقضى أفراد القبائل التركية حياتهم اليومية فى الخيام السوداء، وغيرها

المصنوعة من شعر الماعز، الذى تغزله النساء فى القبيلة، وتقوم حيطانها الجانبية العمودية وسقفها المنحدر قليلا على قوائم سميكة، ويمكن أن تنصب الخيمة أو تطوى فى وقت قصير حتى يسهل نقلها من مكان إلى لآخر.

وحياتهم بسيطة للغاية فتفرش أرضهم بالسجاد، أو بواسطة فرش سميكة من اللباد وقد كانت قطعان الماشية هى عماد الحياة اليومية، فهى التى تمنح اللبن والزيت والجبن وتستخدم للمنسوجات القبلية، وهو يقتصدون فى طعامهم على اللحم والجبن واللبن، مع أكل ما تصل أيديهم إليه من الصيد.

ولقد أعطانا الجاحظ فى رسائله إلى الفتح بن خاقان، عن مناقب الترك صورة ربما يكون فيها شىء من المبالغة عن حياة الترك وصفاتهم ومناقبهم فيقول الجاحظ، أن أول الخصال التى يتصف بها التركى هى صدمة الشدة عند أول وهلة، والثانية الصبر والأتراك لهم رماية خاصة على ظهور الخيل، يرمى الوحوش والطير، ويرمى التركى بعشرة أسهم مرة واحدة، وللتركى أربعة أعين، عينان فى وجهه وعينان فى قفاه، وجلوس التركى على ظهر دايته، أكثر من جلوسه على ظهر الأرض، وان أعياه اصطياد الناس الوحوش، وأن احتاج إلى طعام فصد دابة من دوابه وليس أحد بقايا اللحم غيره وكذلك دابته تكتفى بالضفر، والعشب لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد.

وقد تأصلت الفروسية فى دم التركى نتيجة للبيئة التى يعيش فيها، فهو يتميز بالجرأة فى القتال، فلا يقدم الواحد منهم على شىء ألا بعد أحكام الأمر، والنظر فى العواقب فيهتم الواحد منهم بدايته، وأدواتها، وبسلاحه، أنواعه فالتركى على قول الجاحظ، أقوم الناس تقويما لبروزته، فهو الذى استنتجه ورباه، فإذا دعاه تبعد وأن ركب جرى خلفه، وإذا ركب صار طوع إشارته، وإذا بلغ الناس واديا من الوديان أو نهر من الأنهار، لم ينتظر التركى دوره، ولا ينفك التركى أثناء سيره أن يركب خلف الظباء وأرانب لصيدها، وإذا أراح التركى واحدة من دوابه ركب الثانية من غير أن ينزل إلى الأرض.

والتركى صبور للغاية فهو الراعى والسائس، والرائض، وهو النحاس والبيطار وهو الفارس، والتركى الواحد أمة على حدة، فإذا سار التركى فى غير

عساكر الترك، فسار القوم عشرة أميال، سار التركى عشرين ميلا، ولا يسير التركى فى خط مستقيم، والتركى لا يحارب على دين ولا ملك ولا عصبية، بل على غيره دون الحرمة والمحرم، ولا على وطن ومنع دار ومال، وإنما يقاتل للسلب والخيار فى يده، قال عنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه (عدو شديد طلبه، قليل سلبه) ونهى عن التعرض لهم.

وحرص التركى على أن يتولى بنفسه إعداد سلاحه وسيفه الذى يتقلده فهو الذى يذيب حديد سيفه، ويصفيه ويهذبه، ويرهفه، ويصنع غمده، ويجلد هذا الغمد ويجليه، ويخرز خمائله، وهو الذى يصنع ذلك كله بنفسه، وكذا سائر آلته الحربية من سرج فرسه ورمحه وسهامه وجعبته، فلا يستعين بصديق، ولا يفزع إلى صديق.

ومن الصفات التى اشتهر بها الترك طاعتهم لكبرائهم، فإذا تفرقوا فى حادث من الحوادث رجعوا كلهم إلى مكان واحد.

وكان نظام الترك السياسى يخضع لحاكم يدعى (الخان أو الخاقان)، الذى يمثل رمز السلطة، والذى باستطاعته أن يضم عدة شعوب إلى طاعته، وكان الخان لا يستطيع إخضاع قومه إلا بعد معارك دامية، وقد اشتد النزاع بين الطبقات وبين القبائل البدوية حيث عرف الترك بأنهم أعراب العجم، كما أن هزيلا، أكراد العرب، فلم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والهندسة حيث كان همهم هو الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل وطلب الغنائم.

ولقد أوردت لنا نقوش أورخون نتفا من المعلومات عن النظم الداخلية للدولة التركية من حيث أسماء أصحاب المناصب المختلفة فمثلا، لقب (شاد)، وهو لقب أعضاء أسرة الخان الذين يرأسون القبائل أورد فى نقوش أورخون، وربما يكون فارسيا بمعنى شاة أى ملك.

وكان للترك تقويم قديم عرف بتقويم (الاثنى عشر حيوانا) ويربط الكشغرى بين نهر أيلة وبين ظهور هذا التقويم، فيروى أسطورة خلاصتها أن ملك الترك خرج للصيد فجرت الحيوانات التى تبعها، وألقت بنفسها فى نهر أيلة، وعبرته بالترتيب، وكان هذا الترتيب فيما بعد هو ترتيب الحيوانات فى ذلك التقويم،

وتزعم الترك أن فى كل سنة فيها حكمة، ويتفاءلون بها فيقولون إذا كانت سنة (أوديلى) أى سنة البقر تكثر فيها الحروب، حيث أن البقر نطاحا، وإذا دخلت سنة الدجاج يكثر فيها البرد والثلج والفتن، ولقد كانت غالبية أسماء رجالات التركمان التى وصلت هى أسماء حيوانات من جوارح وطيور وغيرها، من ذلك جغرى أى الصقر، وطغرل، وهو طائر أعلى منزلة من الصقر، وأرسلان أى الأسد.

أما عن عقائد الترك الأولى:

فقد اعتقد الترك بحكم فطرتهم البدوية كغيرهم من قبائل البدو فى كل الطبيعة ولذلك عبدوا السماء والأرض فكثيرا ما صادف طومسون فى نقوش اورخون عبارة (تورك كوكى) أى أسماء الترك، وعبارة (تورك يرصوى) وكانت الأرض والسماء والماء يكونون آلهة بالنسبة للترك فى بدايتهم.

وكانت خيمة ملك الترك تفتح نحو الشرق تبجيلا لتلك الجهة من السماء التى تشرق منه الشمس وفى كل عام يقوم المتيسرون من الأتراك بتقديم الضحايا والقرابين على قبور آبائهم وإنهم أيضا يحجون فى الأيام العشر الثانية من الشهر الخامس، بالتارى خالصينى إلى جبل الذهب وهو النون - داغ بالصينية - حيث تسكن روح السماء والتى يسمونها بالتركية - تنجرى.

ولقد عبد الترك الشمس والقمر والجبال والأنهار والعناصر التى عبدوها خمسة هى الأرض والخشب والمعدن والنار والماء وفى القرن السادس الميلادى كمانوا التوكيو (الترك) الغربيون يقدسون الهواء والماء ولقد قدست هذه الشعوب بعض العناصر الأخرى كالماء الجارى، فعندما دخل المغول بلاد الإسلام منعوا المسلمين من الجداول والمياه الجارية وجعلوا لذلك عقوبات قاسية، كما قدست هذه الشعوب المعدن القوى الذى يصنع منه السلاح وآلات الحرب وهو الحديد بدليل أسمائهم الوطنية القديمة مثل تيمور واتيلا وتيموجين التى لها معنى الحديد، ذات الأصل الدينى وتحولت عبادة العناصر المتعددة إلى عبادة ثنائية اقتصرت على السماء والأرض فأصبحوا لا يقدسون إلا السماء المرتفعة أو الأرض العالية مثل الجبال، وعبادة السماء هى المعروفة بالسمنية، ففى مخيلة العامة أن السماء والأرض تمتللأن بالأرواح والجان والشياطين مما دعاهم أن يتوجهوا بعبادتهم نحو السماء.

واهتم الترك بموتاهم وتقـديسهم وتقديم القاربين لهم، وكـانو يحزنون حزنا شديدا موتاهم لاعتقـادهم فى خلود الروح وان الحياة الأخرى هى كل شىء وكانوا يدورن حول بيت المبيت على الخيل سبع مرات ويصرخون صرخات حزينة وعندما يقفـون أمام الباب يجـرحون وجوهـهم بالسكاكين حتى ليـنزل الدم مع الدموع، وكانوا يضـعون مع الميت كل مـا يخصـه مثل الحصـان والأدوات المنزلية وقـوسه وسهـامه ويضيف المسـعودى أن هذه الأشيـاء تحرق وكذلـك يوضع الحلى وزوجة الميت أيضا ويدل هذا كله على بدائية الترك، وعلى أثر البيئة فى عاداتهم وتقاليدهم ومعـتقداتهم إلى جانب عـبادة (اوماى) أى الروح الحـارس للأطفال الرضع والتى ظلت فى قبائل الالتاى.

واعتنق الترك عـقيدة أخرى هى العقيـدة الشامانية وهى عقيـدة وثنية مطلقة وتنسب إلى شامان بالتركية أو (قان) والعقائد الشامانية تظهر لدى الترك فى مراسيم الجنائز، والدفن عند الأتراك، وكانوا يقيمون إلى جوار قبور جنودهم تماثيل لهؤلاء وكانت هذه التماثيل تسمى، (بلبال) ويظهر انها كلمة من أصل صينى.

والعقيدة السامانية عقيدة بدائية، لا تقوم على أسس أخلاقية فيقال أنها بمعنى أحـد الأرواح من الجن، وليس مـعنى إيمـانهم باليـوم الآخـر أنهم يؤمنون بيـوم الحساب، وبأنهم سيسألون عما كانوا يفعلون، ولذلك فإن القاتل عندهم لا يخاف عقابا يوم القيامة، بل يعتقد ان منزلته فى ذلك اليوم تزداد ارتفاعا، بازدياد عدد من قتـلهم، والدليل على ذلك أنهم كـانوا يذبحون الرؤسـاء العسكريين المأسـورين، وخدم الخان إلى جانب قبر الخان على اعتقاد أن القتلى يصبحون فى العالم الآخر، خدما لقاتليهم أو لمن قتل باسمهم.

وانتشـرت العقيدة الزرادشـتية، والتى لك يكن لـها نشاط تبشـيرى واضح وعالمى وكانـت هى الديانة القومية للإيرانيـين، انتشرت بين الأتراك بسبـب انتشار الأبجدية الإيرانية بين الترك، وذلك بفضل العلاقات التجارية بينهم.

ثم اعتنق الترك العـقيدة البوذية والهندوسية، وذلك بسبـب احتكاكهم ببلاد الهند عن طريق التجار الهنود، وكانت الديانة البـوذية الهندية القادمة من الهند قد انتشرت بصورة واضحة بين الترك القدماء، وذلك لأن مرجو هذه الديانة من الهنود

استخدموا الأبجدية الهندية، كذلك لم يكن مرجوها وحدهم، الوافدين على تلك البلاد فى آسيا الوسطى بل كان التجار الهنود يفدون عليها كذلك.

وكانت العقيدة البدهية الهندية، والتى عرفت بين ترك الشمال، وقد وجدت له اتاعا عند زرخشان فى القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وازدهرت البوذية (البدهية) فى التركستان الشرقية فى القرن الخامس الميلادى وما شاهده المسلمون أول فتحهم لتلك البلاد من نشاط البدهية، وما كان فى معابدها من أوثان ذهبية عظيمة الحجر لها عيون من الجواهر، وكان يقوم ببخارى كل عام حتى بعد الإسلام سوقا كبيرا للدمى والصور ومرد ذلك إلى العادات السائدة أيام كان أهل بخارى يعبدون الأوثان، إذ كانوا يشترون أوثانهم من هذه الأسواق.

ودخلت العقيدة المانوية بلاد الترك، ويقال أنها أول عقيدة يدخلها الترك بعد الشامانية بوصفهم شعبا له ديانات قديمة، وكانت أول دين يقوم على أساس أخلاقية يعتنقه الترك بعد الشامانية، فببنما ترى الشامانية أن قتل الإنسان يفيد يوم القيامة، فإن ديانة مانى لا تكتفى بتحريم قتل الإنسان، بل تحرم أكل لحوم الحيوان، وقد كان الأتراك يفهمون التضاد بين الديانتين، ومسطور فى نقوش أورخون أن الأمة التى كانت تاكل ستأكل الأرز، والبلد الذى يكثر فيه القتل يسود فيه فيما بعد الأمر بالمعروف.

ودخل الترك العقيدة المانوية على قول آخر ابتدءا من القرن الثالث الميلادى ودخلت المانوية بلاد الترك قبل المسيحية، واستعملت أبجديتها المانوية، ولم تسقط دولة أتراك القرن السادس والثامن حتى انتشرت المانوية على نطاق واسع بين الترك بسبب اتساع التجارة مع بلاد الترك، فيما بين القرنيين السادس والثامن، وكان الطريق التجارى المؤدى إلى الصين من بلاد الترك مجالا لنشاط المبشرين والتجار من الصفد الترك وانتشرت المانوية بين قبائل الاويغور التركية سنة ٨٢١ م/ ٢٠٦هـ وعرفوها أثناء غارة لهم على الصين عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م، واستصحبوا فى عودتهم إلى وطنهم ببلاد المغول أربعة مانوية، ويبدوا أن الصغد هم الذين نشروا المانوية بين الترك ثم عرفت المسيحية طريقها إلى بلاد الترك، حين دخلت الأبجدية السريانية وهى الأبجدية التى اتخذتها المسيحية، واتخذت البعوث الدينية المسيحية

تروح وتجئ فى بلاد الصين والتـرك / فقامت بدعوة ناشطة بينهم، واعـتنق الترك المسيـحية على المذهب النـسطورى الذى اعتقـد أصحابه فى وجـود الله ووحدوه، وقال بنبوة عيسى عليه السلام وكان مـعتنقوها يعرفون فى مناطق بلاد ما وراء النهر بالكشوكشان وكانوا يشتغلون بالتجارة.

ولقد اتخذت المـسيحية طريق تجـارى، يربط الصين ببلاد الترك، طـريقا لها للتبشيـر بالمسيحية، وعرفت البـلاد التركية المسيحيـة بواسطة خوارزم التى جاورت بلادهم وتعد قبائل الغز من القـبائل التركية التى اعتنقت المسيحية وكـان للمسيحية أتباع كـثيرون بين الترك حـتى بداية انتشار الإسلام، ثم دخل التـرك فى الإسلام، وأصبحوا من اشد المدافعين عنه.

وكان للترك عـلاقات سياسية وحـربية واقتصادية مع جيـرانهم من الصينيين والفرس والهنود والعرب وغيرهم من البـلاد، فقد روى صاحب الأغانى أن الترك اتخذوا لغة الفرس ودخلوا فى دينهم وكان ذلك فى الـقرن السادس، وقد شيد آل ساسـان وهم الفرس الحصـون فى البلاد التى تعـرضت لغارات الترك جـيرانهم، وذلك مثل سور جورجان وطبرسـتان، وكن دهقان الترك على رأس الجيش التركى الذى حارب العرب عام ٩٨ هـ / ٧١٧ م، ويوضح الثعالبى أن قتالا قد نشب بين ارجاسـف ملك الترك وبين نشـتاسف، ملك الفـرس، حينمـا دعا ملك الـفرس نشتاسف الملك التركى ارجاسف إلى دين زرداشت فـأبى الملك التركى الدخول فيه أولا وخرج لقتال الملك نشتاسف بعد أن أرسل إليه رسالة يقول فيها، سأرسل لك جنودا، تربوا على عـدد النحل والرمل، وتأكـل الرطب وتحرق اليـابس، وتقـتل الرجال وتسـبى النساء، ودارت المعركـة التى انهزم فيـها الترك، بعـد أن قتل أبناء نشتاسف الأربعة، ورجع ابنه اردشير بالجيش إلى بلاده.

وهذا يوضح مدى ما كان عليه الترك من قوة فى ذلك الوقت.

جمهوريات أسيا الوسطى الإسلامية فى العصر الحاضر

جمهورية أوزبكستان

تبلغ مساحة أوزبكستان حوالى ٤٤٧ ألف كم ٢ وهى فى الجزء الشرقى من الاتحاد السوفيتى حيث تتخذ حدودها الإقليمية شكلا طوليا مع انفراج فى شرق البلاد على شكل قوس يحيط بجمهورية طاجيكستان. وتحيط الأراضى السوفيتية بجمهورية أوزبكستان من جميع الجهات فيما عدا الجهة الجنوبية حيث تشترك حدودها مع حدود أفغانستان.

ويبلغ عدد سكان أوزبكستان مايقرب من١٤مليون نسمة حيث يدخل فى تكوينهم عناصر جنسية متعددة فيكون الأوزبك مايقرب من ٧/ ١٠ مجموع السكان فى مقابل ١٢,٥ ٪ للروس ٤,٩٪ للتتار ١/ ١٠ لجماعات القازك والصاحبك والكار كلباك. لتبلغ نسبة المسلمين فى أوزبكستان ما يقرب ٩٠٪ جملة السكان، وجميع الأوزبك مسلمون ويتركزون فى الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من البلاد ويتحدثون لغة تركية تشبة لغة الأتراك العثمانيين أما الروس فيعيشون فى طشقند والمدن الأوزبكستانية. وتتفاوت كثافة السكان داخل أوزبكستان فبينما تسجل الكثافة العامة للسكان ٣١ نسمة فى ك.م٢ نجدها ترتفع فى مناطق الأدوية النهرية والواحات لتصل ما بين ١٥٠ و٣٠٠ نسمة فى ك.م٢ وفى المناطق المتوسطة الارتفاع إلى ١٢٥ نسمة فى كم٢ واقل من خمسة أشخاص فى الوحدة الكثافية وذلك فى بقية البلاد.

ويلاحظ أن سفوح جبال البامبروتيان شان تشغل الجزء الجنوبى من أوزبكستان، بينما تمتد سهول كيزيل كوم فى وسط البلاد وشمالها. وتعرف هذه السهول باسم الرمال الحمراء وهى سهول شبه صحراوية تغطيها الكثبان الرملية فى معظم أجزائها، أما سهول ضوران فتشغل الجزء الشمالى من أوزبكستان حيث تشرف على الشواطى الجنوبية والغربية لبحر أرال ومن ثم تدخل إلى إقليم كاراكلبا كبا.

ومن أهم الأودية النهرية فى جمهورية أوزبكستان وادى فرعان ووادى طشقد ونهرى زيرافشان ونهر جيحون.

ويسود فى أوزبكستان المناخ الشبة صحراوى فى الأجزاء الوسطى والشمالية على حين يسود الاستبس فى المناطق الجنوبية الشرقية وهى فى جملتها مناطق جبلية، كذلك تظهر حشائش الاستبس فى مناطق الأودية النهرية. ومعنى ذلك أن المناخ القارى المتطرف الجاف من نصيب المناطق شبه صحراوية على حين يسود المناخ المعتدل البارد المناطق الجبلية.

أما عن القاعدة الاقتصادية لأوزبكستان فنلاحظ إن البلاد قد شهدت فى غضون السنوات الأخيرة حركة تصنيع كبيرة صاحبها نزوح أعداد كبيرة من سكان الريف للاستقرار فى مدن ولاسيما فى المدن الرئيسية كشقند العاصمة والتى تقع على رافد النهر سيحون بالقرب من حدود قاراخستان وكذلك مدينة سمرقند التى تقع على نهر زرافشان ومدينة بحارى التى تعد واحدة من أجل المدن يمر بها أيضا نهر زرفشان.

وتعد أوزبكستان فى طليعة جمهوريات التركستان من حيث التقدم الاقتصادى فهى تنتج ٨٥٪ من جوت الاتحاد السوفيتى و٦٧٪ من قطنه و٥٠٪ من أرز و٣٣,٥٪ من حريره و٣٤٪ من الجلود المعروفة باسم جلود استر خان.

أوزبكستان جمهورية غنية بالبترول والفحم والغاز الطبيعى والكهرباء إذ يبلغ إنتاجها من البترول حوالى ٣,١ مليون طن فى حين يصل إنتاجها من الغاز الطبيعى إلى ١٠٠,٣٧ مليون م ٢ ومن الفحم ٤,٢ مليون طن. أما عن الطاقة الكهربية التى تعتمد أساسا على مياة الأنهار فتبلغ ٢٦,٢٠٠كيلوات ساعة ومناطق استخراج البترول والغاز الطبيعى فى منطقة بحار وفى صحراء كيزل كوم بينما يستخرج الفحم بالقرب من طشقند.

وتعتمد الزراعة فى أوزبكستان أساسا على الرى حيث تتمتع أوزبكستان بأضخم نظام للرى فى الاتحاد السوفيتى: إذ يغطى ما يقرب من ٤٠٪ من كافة الأراضى المروية. وأهم المناطق الزراعية توجد حول المجارى المائية وفى الواحات أى فى أودية فرغانه وزرافشان وواحة طشقند وخوارزم. وأهم الغلات الزراعية القطن الذى يشغل ما يقرب من ٣/١ المساحة المنزرعة إلى جانب الأرز الذى يزرع فى السهول العالية والخضروات والفاكهة.

أما عن الصناعات الهـامة بأوزبكستان فتتمـثل فى صناعة الأسمنت وتكرير النحاس وصناعة الاسمدة المعدنية والنبيـذ والبلاستيك والصناعات الغذائية وأجهزة استخراج البترول والادوات الكهربائية.

جمهورية طاجيكستان

تدخل معظم أراضى طاجيكسـتان فى الحوض الاعلى لنهر جيـحون أى انها تقع فى وسط آسيا ليمدها من الشرق التركـستان الصينية ومن الجنوب قرغيزيا ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان، وتبلغ مساحة طاجيكستان حوالى ١٤٣ألف كم٢، وهى عبارة عن كتلة جبلية مرتفعـة تبلغ أقصى ارتفاع لها منطقة البامير التى تقع فى الأجزاء الشـرقيـة. وعلى سطح البحر تتـفرع عدة سـلاسل جبليـة تأخذ اتجاهات مختلف لتلتقى جميعا عند البامير. وأهم هذة الجبال جبال الهيمالايا وقرة قروم وهندوكشن وتيـان شان. وتتخلل هذه السلاسل الجبلية مـجموعة من الاودية العميقة التى تأخذ اتجاة شرقى غربى.

ويمتد نتوء من أراضى طاجـيكستان نحو الشمال الغربى ليـحتوى على جزء من وادى فرغانة وحوض سيحون. ومعنى ذلك إن الظروف المناخية فى هذه المنطقة لابد وأن تكون متفاوتة تبـعا لاختلاف الارتفاع فالثلوج الدائمـة تغطى بصفة دائمة المناطق العالية على حين تتعرض المناطق المتوسطة الارتفاع للصقيع الدائم فى فصل الشتاء وترتفع درجـة حرارتها فى فصل الصيف الشـتاء إلى ٤م على حين تبلغ فى الصيف الجـاف إلى ٣٠م. وتتراوح كـمية الامطار السـاقطة فى طاجيكسـتان بين ٣٥٠مم، و٥٠٠مم.

ويعتبر الطاجيك أكبر الجماعات السكانية فى البلاد، فمن بين ٤مليون نسمة نجد إن حوالى ٥٦٪ منهم ينتمون إلى هذه المجموعة فى حين يكون الأوزبك ٣٣٪ والروس حـوالى ١٢٪والتتـار ٢,٥، وينتمى الطـاجيك إلى سـلالات خليطة بين الأتراك والإيرانيين إذا أنهم يقـيمون فى أراضى فـرغانة والجزء الغـربى من المنطقة البامـير بينمـا يعيش فى الجـزء الشرقى من البـلاد التتار فى حـين يقطن الأوزبك الاجزاء الشمـالية الغربية والروس فى المـدن ويتركز السكان بصفـة عامة فى وادى فرغانة لخصوبته غير إن الكثافة العامة تصل إلى ما يقرب من ٢٤نسمة فى كم٢وإن

كـانت تسجـل فى مناطق عذبـة أقل من نصف هذا الرقم. ويعـتمـد الاقـتصـاد طاجيكسـتان على الزراعـة وتربية الحـيوان فهـذة هى الحرفة الرئيـسيـة إلى جانب الصناعة ومن ثم يزرع السكان القطن فى الاودية وقصب السكر والفـواكه بأنواعها والحبوب إلى جانب المزارع التابعة للدولة وتبلغ مـساحة الاراضى الزراعية مايقرب من مليون هكتار وتعـتمد جميـعها على الرى من شبكة مائيـة منتظمة الامر الذى ساعد على تكثيف زراعة بعض المحصولات الشـبهه مدارية على وجه خاص. وقد قام على الانتاج الزراعى بعض الصناعات المختلفـة مثل الصناعات القطنية وتجفيف الفاكهة والنبيذ وتعليب اللحوم والاسمنت.

أما عن الثورة الحـيوانية فهى فى زيادة مستـمرة نتيجة لاستـخدام الاساليب الحديثة فلى الرى وقد ارتبط ذلك بزيادة المنتجات الحـيوانية. أما عن الثورة المعدنية فيوجد فى طاجـيكستان معادن متنوعـه أهمها الفحم والبترول والغـاز الطبيعى إلى جانب الزنك والرصاص والذهب والفضة.

وعاصمـة طاجيكستـان دوشانبى وتقع على نهر سورخـان داريا وهى مدينة حديثة النشـأة عمرها أقل من نصف قرن. كذلك من المدن الهـامة مدينة لينين أباد التى تقع على نهـر سيـحون وكـوليـاب وخروج والأخـيرة تقع على الحـدود مع افغنستان.

جمهورية تركمانستان

يبلغ عدد سكان جـمهوريات تركـمانستـان حوالى٢,٥مليون نسـمة وذلك حسب أرقام عام ١٩٧٥ الأمر الذى يشيـر إلى إن سكان هذه الجمهورية أقل أعداد سكان لجمهـوريات أسيا الوسطى، كما إن مـعدل الزيادة السنوية يصل إلى ٢,٧٪ فى حين تصل الكثافة العامة إلى حـوالى ٨٠٪ من جملة مساحة البلاد تكاد تكون خالية من السكان. وأغلب هذه الأراضى تقع ضمن نطاق صحراء قرة قروم وذلك على النقيض من مناطق الأودية النهرية التى يتكدس به السكان وذلك اسوة بمناطق الواحات التى تعـد هى الاخرى مناطق تكدس سكانى. وجـمهـورية تركمانسـتان عبارة عن منطقة هضبية تأخـذ فى الاتجاة من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى، ويصل الارتفاع فى الأجـزاء الجنوبية من الهضـبة حوالى ٧٠٠م حـيث تأخذ هذه

المنطقة المظهر الجبلى المقطع بعدد من الأودية النهرية والتى أهمها نهر هترى مورغاب ونهر تأوزهن أو (هارى رود) وجزء من نهر جيحون الذى يمر فى الأجزاء الجنوبية الشرقية من تركمان.

وتضم أراضى تركمانستان سلاسل جبال كويت وانج التى تمتد بين بحر قزوين وهضبة تركمانستان، وهى جبال التوائية تمثل حواف مرتفعة لهضبة إيران حيث تشعب بعض سلاسلها فتبدو على هيئة أشرطة ضيقة فى منطقة حدود تركمانيا.

وتمثل صحراء قرة قروم سهول فسيحة فى تركماستان وتعتبر إمتداد للهضبة صوب الجنوب ويصل ارتفاع مناطق ١٠٠ - ٢٥٥م وان كان ينخفض هذا المنسوب إلى دون سطح البحر بالضرب من بحر قزوين وبحر أراك.

وتسود فى تركماستان حشائش الاستبس على المرتفعات الجنوبيةفى حين تسود النباتات الشوكية فى بقية الجهات والسبب فى ذلك هو إن المناخ السائد فى تركمانستان هو المناخ الصحراوى القارى ويستسنى من ذلك مناطق المرتفعات التى تستقبل سنويا معدل من المطر يصل إلى ٢٥٠مم.

وتوزيع مظاهر السطح والغطاء النباتى كان له ابلغ الاثر فى توزيع السكان فى انحاء البلاد كما كان لة دلالته الاقتصادية، فيتكدس السكان فى وادى جيحون ووادى مورغاب وواحات خوارزم واتراك وعشق وسفوج جبال كويت وانج بينما يقل السكان فى المناطق الصحراوية الجافة. ويقوم اقتصاد تركمانستان اساسا على الزراعة حيث يعتبر القطن دعامة المحصول الزراعى إن الصناعة فعهدها فى تركمانستان حديث جدا.

وتبلغ مساحة الأراضى المزروعة فى تركمانستان أكبر واحد شبكة للرى فى أنحاء التركستان.

ويبلغ عدد السكان الذين يعلمون فى قطاع الزراعة نحو ٣٠٠ألف نسمة يعملون فى مزارع جماعية ومزارع حكومية ويصل عدد المزارع المتابعة للدولة حوالى ٥٥ مزرعة فى مقابل ٣٣٠مزرعة تدار جماعيا. ويشغل القطن ما يزيد على نصف المساحة المخصصة للزراعة هنا من الأقطان الطولية السلة.

وإلى جانب القطن يزرع الخضروات فى الواحات حيث يحتل هذا المحصول المرتبة الثانية بعد القطن كما يزرع القمح والأرز والذرة إلى جانب الأعناب والبلح والتين والرمان والليمون والبطيخ.

ويستخدم الذرة علفا للحيوان فيوجد فى تركمانستان حوالى نصف مليون من رؤوس الماشية وحوالى ٥مليون رأس غنم.

أما عن الثورة المعدنية فيعتبر البترول أهم مصادر هذه الثورة حيث يوجد بالقرب من بحر قزوين، كما يوجد فى صحراء قرة قروم الفحم والمغنسيوم والملح والكبريت. وأهم الصناعات الموجودة فى البلاد هى تلك المرتبطة بزراعة الأقطان إلى جانب الصناعة الثقيلة وصناعات الأسمنت.

وأهم مراكز الصناعة هى المدن والعواصم والتى يأتى فى مقدمتها عاصمة البلاد عشق آباد ومدينة مرو وتشارجو وكركيش، وتقع مدينة عشق آباد على الخط الحديدى بين سمرقند وكراسنوفورسك بينما تعد مدينة تشارجو ملتقى خطوط السكة الحديد على نهر جيحون. وبصفة عامة فإن معظم التركمان يمارسون الآن الزراعة ويتكلمون لغة تركية تنتسب إلى مجموعه اللغات الجنوبية الغربية، وعناصر التركمان هم اكثر عناصر السكان عددا فى البلاد حيث يمثلون حوالى ٦٦٪ من مجموع السكان.

جمهورية قازاخستان

تشبه جمهورية قازاخستان جمهوريات وسط آسيا فى تنوع مظاهرها الطبيعية إذ من المعروف أنها تحتل فى أواسط قارة آسيا مساحة من الأرض تصل إلى ٢,٧٠٧,٣٠٠ ك.م٢ لتمتد من صحارى وسط آسيا جنوبا وسهول سيبريا شمالا وبين جبال الطاى شرقا وبحر قزوين غربا. ويمتد أقليم السهوب الذى يعتبر مدخلا لسهول سيبريا فى الشمال ومن ثم فيعتبر هذا الإقليم مدخلا للأقاليم المجاورة إذ أن إقليم السهوب يمثل منطقة انتقال بين مرتفعات الجنوب وسهول الشمال.

أما هضبة القازاخ التى تعتبر امتداد لهضبة آسيا الوسطى أو لهضاب آسيا الوسطى فتمثل الجزء الجنوبى والشرقى من جمهورية قازاخستان حيث تظهر هناك

سلسلتان هامتـان من الجبال وهما سلسلة جبـال ثيان شان فى الجنوب وللطاى فى الشمال، كمـا يوجد بين السلسلتين مجمـوعة من البحيرات أكبـرها بحيرة بنكاش التى ينصرف إليها عددا من الأودية الجافة التى تنحدر من الجبال المجاورة.

أما فى غرب البلاد فتوجد مناطق سهلية وأخرى منخفضة تحيط ببحر قزوين من الشـمـال والشـرق وحـيث تنتـشـر فى هذه المنطقـة بعض الكثـبـان الرمليـة والمستنقعات.

ويقطع جمهـورية قازاخستان عددا من المجارى المائيـة فنهر أورال يوجد فى الاقليم الغربى حيث ينـبع من السفوح الجنوبية لجبـال أورال ليصب هو الآخر فى بحر قـزوين، وذلك إلى جانب نهـر ارتيس الذى ينبع من جبـال الطاى ويمر فى الأجزاء الشـمالية الشـرقية من البـلاد ونهر أوب الذى يخـترق الأراضى السيـيرية ويصب فى المحيط المتجمد الشمالى، ونهـر سيحون الذى ينبع من جبال تيان شان إلى جانب مجموعة من النهيرات الصغيرة التى تنصرف نحو ممر أرال.

ويشبه مناخ قازاخستان مناخ تركـمنستان حيث إنه مناخ قارى ومن ثم تسود الحشائش الشـوكية فى معظم بقاع قازاخـستان ويستثنى من ذلك المرتفعـات الجبلية الجنوبية والشـرقية حـيث تظهر هناك أشـجار الغابات الجـبلية إذ يزيد مـعدل المطر السنوى فى تلك المناطق عن ٥٠٠مم.

ويتكون سكان قـازاخستـان من عناصر متـباينة فيـكون الأوكرانيون والتـتار حوالى ١/ ١٠ السكان فى حين يكون الروس مـايقرب من ٤٣٪ من جملة السكان والقازاك حـوالى ٣٣٪ من السكان، ومعنى ذلك إن العناصـر الصقلبيـة تسود فى قازاخستان التـى يبلغ عدد سكانها حوالى ١٤,٥مليون نسمة مع كثـافة عامة تصل إلى ٥,٢نسمة فى كم٢ وكـما هو معروف للدارسين هـناك ارتباط قوى بين توزيع مظاهر السطح وتركز الحـياة البشـرية ومن ثم فأغلب السكان يستـقرون على طول امتـداد الأودية النهرية فى مناطق السهـوب ذلك بالإضافة إلى المناطق الجـبلية التى تستـقبل أمطار بحيث تسـمح بقيام حـياة اقتـصادية متـقدمة فى الأجـزاء الجنوبية والشرقيـة. كذلك هناك استقطاب للسكان فى مناطق الواحـات التى قد ترتفع بها الكثافة السكانية لتصل إلى ٣٠٠ شخص فى ك م٢.

وقد تعرض توزيع السكان فى قازاخستان للتغير وذلك تبعا لسياسة التهجر التى اتبعت هناك وكانت تهدف إلى إعادة تعمير سيبريا وتوطين الجامعات القازاك المسلمين الذين يتحدثون التركية هناك واحتلال أعداد كبيرة من الروس والأوكرانيون محلهم. ولكن يخد ذلك فيكون المسلمون ما يقرب من ١/ ١٠ جملة سكان البلاد.

وقد كانت حرفة الرعى هى الحرفة الرئيسية لسكان قازاخستان فى الماضى ولكن اليوم تعتبر الزراعة هى الدعامة الأولى للاقتصاد على الرغم من احتفاظ حرفة الرعى بأهميتها بين بعض العناصر القازاخستانية كالقازاك والقرغير.

وتبلغ المساحة الزراعية فى قازاخستان ما يقرب من ١٤٪ من مجموع المساحة المنزرعة فى الاتحاد السوفيتى، ونظرا لوجود مناطق واسعة من السهول كان إنتاج الحبوب فى مقدمة الغلات الزراعية التى تزرع هنا ولا سيما القمح حيث تشغل قازاخستان المرتبة الثانية فى إنتاجة بين دول الاتحاد إذ تساهم بحوالى ٨٪ من مجموع إنتاج الاتحاد السوفيتى القمح.

وقد يطلق بعض الباحثين على قازاخستان اسم سلة خبر الاتحاد السوفيتى سابقا، وذلك للإشارة لأهميتها فى إنتاج الحبوب لا سيما القمح حيث زرع القمح الربيعى على امتداد إقليم الحشائش من الغرب إلى الشرق. وإلى جانب القمح يزرع الأرز فى المناطق النهرية التى تتوفر بها ظروف زراعتة. أما القطن وبنجر السكر فتقوم زراعته فى الأجزاء الجنوبية الغربية من البلاد حيث ترتفع درجة الحرارة ويتوفر المياه فى وادى سيحون الادنى ذلك إلى جانب زراعة الخضروات والفاكهة والمطاط والتبغ وقصب السكر والتفاح والعنب.

أما عن الثورة الحيوانية فتنتج قازاخستان ما يزيد على 15/انتاج الاتحاد السوفيتى من الصوف وحوالى ٧٪ من اللحوم المنتجة به وذلك لأنها تضم مايقرب من ٨مليون رأس من الماشية وحوالى ٣٥ مليون رأس من الأغنام و٣٥ مليون من الدواجن.

أما عن الثورة المعدنية والصناعية فيجمع الاقتصاد الصناعى فى قازاخستان بين الصناعات الغذائية والصناعات الخفيفة والصناعات الثقيلة، كما أن أرضيها تشمل ثورة معدنية هائلة فهى الأولى فى إنتاج الكروم فى العالم، ذلك إلى جانب

أنها تنتج أكثر من ٦/ ١٠ من نحاس الاتحاد السوفيتى و٦٠٪ من رصاصه من التوتياء ويستخرج النحاس من منطقة بلكاش والبترول من حقول اسيا حيث ينتقل من هناك عن طريق الانابيب ليكرر فى أورثك فى الأورال.

كذلك يوجد بها فحم كارجندة إلى جانب الذهب والفضة والنيكل.

وعاصمة جمهورية قازاخستان مدينة الما أجنا (ابو التفاح) وهى تقع على سفح منطقة جميلة ويبلغ عدد سكانها حوالى ٨٥٠ ألف نسمة. ومن المدن الهامة الأخرى مدينة كراجندا ومدينة سيميبلا ومدينة تشيمكنت وأكولنسك.

جهورية قزغيزيا:

تقع جمهورية قزغيزيا فى المنطقة الشرقية من اسيا الوسطى فى المنطقة التى تلتقى فيها جبال البامير بجبال تيان شان. وتبلغ مساحة جمهورية قزغيزيا ١٩٨,٥٠٠كم٢ ويحيط بها جمهوريات قازاخستان وطاجيكستان وأوزبكستان كما تحيط بها الصين من الجنوب الشرقى. ويبلغ عدد سكان قزغيزيا مايقرب من ٣,٥ مليون نسمة فى حين ترتفع الكثافة العامة للسكان بها عن بقية جمهوريات الاتحاد لتصل إلى ١٦,٥نسمة فى كم٢ ويتركز السكان فى المدن الرئيسية وفى المناطق التى تتوافر بها الموارد المائية والتربة الصالحة للزراعة ومن ثم فيتجمعون فى وادى طلسى ووادى تشوفى وادى فرغانة وحول شواطىء بحيرة إيزيل كوك. كذلك يتمركزون على مرتفعات جبال الاى فى الجنوب. أما بقية البلاد فتشمل انخفاضا وتخلخا فى عدد السكان.

ويكون القرغيز العنصر السائد السكان، وهم من أصل تركى ويدينون بالاسلام ويتركزون فى جبال البامير الالية وفى منطقة جبال تيان شان ويكون القرغيز مايقرب من ٤٤٪ من جملة سكان البلاد إلا أن أعدادهم الحالية أقل مما كانت علية فيما مضى وذلك بسبب تعرضهم للهعجرة الجبرية وتوطين الروس مكانهم حين استولى الروس على بلادهم وعملوا على إبادتهم حيث كانت نسبتهم فى البلاد تصل إلى حوالى ٩٢٪من جملة السكان بينما يكون التتار والأوكرانيون ٦,٥٪ ذلك إلى جانب عناصر أخرى تعيش على هيئة أقليات.

جمهورية قرغيزيا تمتد فوق هضبة عالية تتسم بوجود مجموعة من السلاسل

الجبلية التى تحيطها من جميع الجهات والتى تبرز بوضوح فى الجهات الشمالية والجنوبية لتتمثل فى جبال تيان شان فى الشمال وجبال الاى فى الجنوب. وقد تقترب السلاسل الشمالية والجنوبية من بعضها فى الأجزاء الغربية لتكون مرتفعات فرغانه.

وتتسم الهضبة القرغيزية بوجود البحيرات الداخلية التى تعتبر المصرف الطبيعى للأودية النهرية التى تنساب من المرتفعات المحيطية نحو وسط الهضبة فتوجد بحيرة إيزيك كوك فى الاجزاء الشمالية الشرقية من البلاد، وهى بحيرة ترتفع سطحها فوق مستوى سطح البحر بحوالى ١٦٠٩مترا

ومن الأودية النهرية التى تخترق جمهورية فرعيويا وادى نهر نارين الذى يكون جزءا من نهر سيحون ويخترق الهضبة من الشرق إلى الغرب، ووادى نهر نار وهو رافد من نهر نارين، كذلك يوجد وادى نهر كشو الذى يتجة من التلال الواقعه غربى بحيرة إيزك كوك نحو الشمال الغربى إلى الصحراء الرملية الممتدة فى شرق بحر إدراك. ونظرا لطبيعة التضاريس المرتفعة فى قرغيزيا فإن الثلوج الدائمة تكسو قمم الجبال العالية كما إن الغابات المعتدلة تغطى المنحدرات التى تستقبل أخطار كافية لنمو حياة شجرة غابية والمناخ بصفة عامة فى قرغيزيا قارى متطرف.

وقد كانت حرفة الرعى هى الحرفة الرئيسية لسكان قرغيزيا قبل وفود الروس إلى بلادهم غير أنهم تحولوا عن هذه الحرف تحت البطش السوفيتى إلى حرف أخرى أكثر استقرار ومن ثم يجمع السكان حاليا بين الحرف الإنتاجية الثلاثة وهى الزراعة والرعى والصناعة فيبلغ عدد العاملين فى مجال الزراعة نحو ٣٠٠ ألف نسمة يعملون فى حوالى ٣٤٦ مزرعة جماعية وتابعة للدولة. وتعتمد معظم الأراضى الزراعية فى قرغيويا على الرى إذ تبلغ حملة مساحة الأراضى الزراعية المروية حوالى ٢ مليون هكتار التى تقوم بزراعة محاصيل متنوعة كالقمح والارز والقطن وبنجر السكر والبطاطس والخضر والفواكه والعنب والتبغ والجوث والبذور الزيتية والعلف.

وتشتهر قرغيزيا بالمراعى الطبيعية الموجودة فى أنحاء البلاد ومن ثم فلديا ثورة حيوانية كبيرة فهناك ما يقرب من ١٠١ملايين رأس غنم وحوالى ١,٥ مليون

رأس ماشيـة و٨ مليون من الدواجن الامر الذى ساعد عـلى إعطاء إنتاج وافر من المنتجات الحيوانية.

أما عن الصناعـة فى قرغيـزيا فنظرا لتوفـير عدد من المعـادن كالزئبق فتـعد قرغيزيا من أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى فى إنتاج هذه المعادن، كما يوجد بها البترول والغاز الطبـيعى والفحم والرصاص ومن ثم فتنتشـر فى البلاد المصانع التى ترتبط بتصنيع هـذه الخامات المعدنيـة ذلك إلى جانب الصناعـات المرتبطة بالإنتاج الزراعى والحـيوانى كـمصـانع السكر وحلج الأقطان وطحن الغـلال ودبغ الجلود وحفظ الأغذية وصناعة الالات الكهربية وصنـاعة الأسمنت وغيرها من الصناعات وعاصمة حمهورية قرغيزيا مدينة فروترى التى تقع على رافد صغير لنهر تشو قرب الحدود الشـماليـة ويبلغ عدد سكانها نـحو نصف مليون نسـمة ومن المدن الهـامة الأخرى مدينة أوش ومدينة برزيفالسك وكيزدكـيا وجلال أبو وتشتمل قرغيزيا على ما يقرب من٤٤ مركزا حضاريا.

❊ ❊ ❊